جمهوريَّة العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كُليَّة الكوت الجامعة
قسم علوم القرآن والتَّربية الإسلاميَّة

السيد المسيح (ع)

في التصوَّر الإسلامي

(دراسة تأصيليَّة للتعايش الإسلامي المسيحي من خلال القرآن الكريم والتراث الإسلامي)

تأليف
الدكتور علاء الحلِّي

م. م مروة عبد فهد
م. م مروة برهان فرمان
م. م مروة محمد عرد
م. م سارة عبد الله هدايت

٢٠١٧- ٢٠١٨م

مراجعة تاريخيَّة: أ. م. د. ثامر الحكيم

مراجعة لغويَّة: م. د. محمد الزيدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾

(سورة آل عمرن/ الآية ٥٩)

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظيم

الإهداء

إلى كُلِّ الذينَ ينشدونَ الحُبَّ والسلامَ في العالم

ويتَّخذونَ الإنسانيَّة ديناً لهم

نُهدي هذا الجهدُ المتواضع

المؤلِّفون

المُـــــــقدِّمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين محمد المصطفى، وعلى آله الغرُّ الميامين وأصحابه المُنتجبين، وعلى جميع الأنبياء والمُرسلين الذينَ سبقوه بالرسالةِ نبيَّنا الكريم...

وبعد؛

تنطلقُ العلاقات الإنسانيَّة في الإسلام من رؤيةٍ فلسفيَّةٍ تقوم على أساس احترام التَعدُديَّة الدينيَّة والفكريَّة، والاعتراف الإيجابي بالآخر، وذلك في إطار السعي لبناء حضارة اجتماعيَّة تعمل لخير البشريَّة، وهذه العلاقة بين البشر على اختلاف أديانهم، تقوم على مجموعة من الأسس، ومنها: سُنَّة التنوع والتعدد والاختلاف؛ وهي من سُنن الله، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾[1]. ومادام الاختلاف سُنَّة من سُننٍ هذا الكون؛ فمن المستحيل أنْ يتَّفقَ البشرُ جميعاً في الأفكار والتصوُّرات، فضلاً عن الدين. ومن المعلوم أنَّ الإسلام يقوم على الاعتراف الإيجابي بالآخر، وإقراره على معتقده ودينه.

ومن هذا المنطلق؛ يُعدَّ موضوعُ التعايش الإسلامي- المسيحي من الموضوعات ذات الأهميَّة الكبيرة والمفصليَّة؛ إذ إنَّ للعلاقةِ بين المسلمينَ والمسيحيينَ جذورٌ تمتدَّ إلى نحو خمسة عشر قرناً وإلى اليوم. وهي قضيَّةٌ تُعدُّ من المسلَّمات الاعتقاديَّة والتشريعيَّة والأخلاقيَّة لنا نحنُ كمسلمين، والسبب في ذلك يعود إلى أنَّ هذا التعايش قد أرسى القرآن الكريم أُسسه ودعائمه ومبادئه، حيثُ قام النبي الأكرم محمد (ص) بتطبيقه كحياةٍ واقعيَّةٍ مُعزَّزاً إيَّاها بأمثلةٍ عمليَّةٍ.

وبعد ذلك؛ نهج صحابته المنتجبينَ من بعده ذات المنهج؛ فانطلقتْ مسيرة التعايش الإسلامي- المسيحي عبر هذه القرون الطويلة، متألقة لتسيرَ من تطبيقٍ عملي لها إلى تطبيقٍ عملي- حياتي، خلا بعض الفترات الزمنيَّة التي كانتْ علاقة التعايش فيها تتكرس نحو سلبيَّةٍ مُظلمةٍ، أو عصبيَّةٍ بغيضةٍ، أو طائفيَّةٍ مقيتة كان الجهل بحقيقة الأديان السماويَّة أحد أسبابها، وكذلك التأويلات المنحرفة، والأهواء والمصالح وعنت البعض من رجال الدين، وتدخَّل الغُرباء الذين يسعون لبث بذور الطائفيَّة ممهدين - بذلك- لاستعمار واستغلال بلاد المسلمين والمسيحيين على في آنٍ واحد.

١- سورة هود: الآية ١١٨.

من هنا نجد أنَّ القرآن الكريم، وكذلك سُنَّة النبي الأكرم محمد (ص)؛ قد حرصا على ترسيخ قواعدَ التعايش مع غير المسلمين، وبخاصة المسيحيين؛ فكانتْ هذه القواعد أُسساً واضحة جلية تستند إلى حفظ حقٍّ مُقدَّس، ألا وهو حقُّ الكرامة الإنسانيَّة، حيث قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾[1].

كما بيَّنَ القرآن الكريم أنَّ الناس متساوون من حيث بشريتهم، فصرَّح بذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[2].

كما جاء في الوثيقة الإسلاميَّة الكُبرى لحقوق الإنسان على لسان النبي الأكرم محمد (ص) قبل وفاته بأشهر في حُجَّة الوداع، بقوله: "**إنَّ ربَّكم واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، كُلَّكم لآدمَ، وآدمُ من تُرابٍ، إنَّ أكرمكم عندَ اللهِ أتقاكم، ليسَ لعربيٍ على أعجميٍ، ولا لأعجمي على عربيٍ، ولا لأحمرٍ على أبيضٍ، ولا لأبيضٍ على أحمرٍ فضل إلَّا بالتقوى، ألا هلْ بلَّغت؟ اللهم فاشهد، ألا فليبلغُ الشاهدُ منكم الغائب**"[3]. ولذا؛ فقد كان رسول الله (ص) يُكثر من الدعاء بقوله: "**اللهمَّ إنِّي أشهدُ أنَّكَ أنتَ اللهُ لا إلهَ إلَّا أنتَ، وأنَّ العِبادَ كُلُّهم إخوة**"[4].

ومن هنا كانتْ الحصانة لكُلِّ البشر بغض النظر عن ألوانِهم وأجناسِهم ولغاتِهم وديانَاتِهم واتجاهاتهم الفكريَّة، حيث قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[5].

وبناءً على ما تقدَّم؛ نجد أنَّ الاحترام والتقدير للشخصيَّة الإنسانيَّة حقيقة جليَّة في نصوص الإسلام؛ وهذا ما صرَّح به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ**

١- سورة الإسراء: الآية ٧٠.

٢- سورة الحجرات: الآية ١٣.

٣- صحيح الترمذي، ٣٢٧.

٤- رواه أبو داوود، ٣٣.

٥- سورة المائدة: الآية ٨.

فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[1]. وكُلُّ ذلك من دون تفرقة بين لونٍ أو جنسٍ أو ملَّةٍ؛ فالإيذاء والاعتداء على الكرامة الإنسانيَّة جريمة من أسوأ الجرائم في الدنيا والآخرة في ميزان الإسلام.

كما أنَّ النبي الأكرم محمد (ص) قام يوماً من مجلسه تحيَّةً واحتراماً لجثمانِ ميتٍ مرَّتْ جنازته أمامه؛ فقام معه المسلمون، فقيل له من باب التنبيه والتذكير: يا رسول الله إنَّها جنازة يهودي، فقال: **"أليست نفساً"**[2].

وإذا أردنا أنْ نتحدَّث – من باب التقنين وتقعيد القواعد– في الأسلوب الذي باشر به الإسلام حقيقة التعايش مع الآخرين؛ نرى أنَّ هذا التعايش ينطلق من قول الله تعالى: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**[3]. ولذا؛ فإنَّ هذه الآية تشمل جميع أصناف الملل والأديان، وتوجهنا أنْ نبرَّهم ونصلهم ونقسط إليهم، لأنَّ الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، ويبرَّونَ من برَّهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم.

وبناءً على كُلِّ ما تقدَّم؛ سيكونُ عرضنا في هذا الكتاب لمجموعةٍ شاملةٍ من الروايات المنسوبة للنبي العربي محمد بن عبد الله (ص)، ولأئمة أهل البيت (ع) المتعلقة بالسيد المسيح (ع)، ونحنُ نسلِّم بشكلٍ عام أنَّه لا يمكن التسليم بصحة كُلَّ ما يُقال في هذه الأحاديث، وأنَّ علماء المسلمين طوروا علم الحديث لأجل تصنيف وفرز الأحاديث الصحيحة، وهنا لم نحاول فرز الروايات الصحيحة عن غيرها.

ولذا؛ أخترنا الروايات التي يمكن أنْ تزودنا بنظرةٍ شاملة عن الأحاديث التي رُويتْ عن أئمَّة أهل البيت (ع) بشأن السيد المسيح (ع)، ولا ندَّعي أنَّنا جمعنا كُلَّ ما روي بهذا الخصوص، إذ إنَّ هناك روايات لا تختلف إلَّا ببعض التفاصيل. وفي هذه المقام اخترنا النموذج الأتم للرواية, أمَّا الروايات التي ذُكر فيها المسيح (ع) بشكلٍ عارض؛ وإدراكاً منَّا لأهميَّة ما جاء فيها؛ فقد اقتطعنا الجُزء المختص بالسيد المسيح (ع).

١– سورة المائدة: الآية ٣٢.

٢– رواه مسلم (٩٦٠)

٣– سورة الممتحنة: الآية ٨.

وإذا سوَّغنا للمسيحيين دراسة الروايات الشيعيَّة عن عيسى بن مريم (ع)؛ فسوف يبقى السؤال عن قيمة هكذا دراسة بالنسبة للمسلمين, وقد يتساءل البعض لماذا بوجود الكتاب والسُنَّة, علينا أنَّ نولي المسيح هذا الاهتمام الخاص؟

بداية؛ إنَّ السيد المسيح وأنبياء الله نوح وإبراهيم وموسى (ع) ونبينا الأكرم محمد بن عبد الله (ص) لهم مكانة خاصة في الإسلام الحنيف كأعظم الأنبياء، أولئك الأنبياء الذينَ جاءوا بشرائع ما أوحي للمتأخَّر منهم؛ هو تأكيد لِما أوحي لمن سبقوه. أليس هذا سبباً كافياً لهذا الالتفات الكبير للأنبياء السابقين (ع) في القرآن الكريم؟

والحقُّ؛ إنَّ كُلَّ الأنبياء (ع) جاءوا ببشارة المحبَّة، وهي محبَّة الله والجار، وحتَّى محبَّة أحقر المخلوقات، وخلال الروايات التي سنعرضها؛ سوف نجد أنَّ السيد المسيح (ع) يعطي من طعامه لمخلوقات البحر. وبذات الوقت لا تلتبس محبَّته بالعاطفة التي قد تمنع شريعة الله.

إنَّ كلمات روح الله عيسى بن مريم (ع) المروية في الأحاديث التي سنقدِّمها عنيتْ بالدرجة الأساس بالأخلاق، وهي الأخلاق المسيحيَّة؛ وهي – بذات الوقت– أخلاقٌ إسلاميَّة أيضاً. كما أنَّ الأخلاق التي أقرَّها السيد المسيح (ع) يؤكد الإسلام — اليوم– على استمراريتها, وتصمم عليها الروايات والتراث الفكري لأهل البيت (ع).

وفي التراث الإسلامي؛ فإنَّنا لا نتعلَّم جديداً من السيد المسيح (ع) وسماته الأخلاقيَّة وصفاته الحميدة فحسب؛ ولكننا نكتشف — أيضاً– ما وجده أولياء الله أهل بيت النبوَّة (ع) مهمَّاً ليُنقل عنه. ولذا؛ فقد مثَّل السيد المسيح عيسى بن (ع) أبهى صور الكمال الأخلاقي والروحي في كُلِّ ما ورد عنه، وكذلك ما ورد في مسيرة حياته الشريفة.

وبناءً عليه؛ فإنَّ جميع البشر على وجه هذه الأرض يشتركون في الإنسانيَّة، وبالتالي كفل لهم الإسلام الحقَّ بالحياة والعيش بكرامةٍ؛ من دون تمييزٍ بينهم، وذلك من مبدأ أنَّ الإنسان مُكرَّمٌ لذاته، من دون الالتفات إلى ديانته أو عرقه أو لونه أو منشئه، إذ إنَّ جميع أفراد المجتمع أسرة

واحدة، ولهم حقوق معينة، وعليهم واجبات، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾[1].

أمَّا الاختلاف الظاهر في أشكال الناس وألوانهم وأجناسهم ولغاتهم؛ فليس إلَّا دليلاً على عظمة الله الخالق وقدرته وإبداعه في خلقه، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾[2].

فإذا وُجِد الاختلاف في المجتمعات البشريَّة؛ فينبغي – حينها- أنْ يكون ذلك من الظواهر الطبيعيَّة، ولا ينبغي لفئةٍ التغول على فئة أخرى؛ لأنَّ ذلك يُوجِد العداوة والبغضاء في المجتمع ويثير النعرات الطائفيَّة بين أفرادها، بل ينبغي أنْ يكون ذلك الاختلاف سبيلاً للتعارف والتواد والتراحم بين أطياف المجتمع الواحد، والسعي لإيجاد المصالح المشتركة بينهم، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[3]؛ إذ أشار الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة إلى أنَّه لا مجال للتفاضل بين الناس إلَّا على أساس التقوى والقرَّب من الله عزَّ وجلَّ، ومدى تطبيق شرائعه والالتزام بما جاء به الرُسل عن الله، قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[4].

أمَّا من لم ينتسب إلى الإسلام من الأديان الأخرى التي جاءتْ من عند الله قبل مجيء الإسلام ولم يؤمن بالله؛ فإنَّ القرآن الكريم لم ينظر إليهم بانتقاص، أو على أنَّهم ليسوا بشراً، وأنَّه لا يحقُّ لهم ما يحقُّ للمسلمين؛ بل نظر إليهم نظرة تسامحٍ ولين، ولا ينبغي على المسلم اتجاه من خالف الاعتقاد السليم من غير المسلمين إلَّا دعوتهم إلى الله على سبيل النصح، فإنْ أطاعوا فبها ونعمتْ، وإنْ أبوا إلَّا البقاء على معتقدهم؛ فلا إكراه في الدين ما داموا لم يعادوا دين الله ويحاربوه، قال

١- الإسراء: الآية ٧٠

٢- سورة الروم: الآية ٢٢.

٣- سورة الحجرات: الآية ١٣.

٤- سورة الحجرات: الآية ١٣.

تعالى: ﴿**لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[1].

كما راعى الإسلام عدم المساس بمُعاهِدٍ أو ذمَّي، إنْ كان بينه وبين المسلمين عقد ذمَّة، قال المصطفى محمد بن عبد الله (ص): "**من قتل مُعاهَدًا لم يَرَحْ رائحةَ الجنَّةِ، وإنَّ ريحَها توجدُ من مسيرةِ أربعين عامًا**"[2]، فيكون أمانهم مكفولاً بصريح أمر النبي الأكرم محمد (ص)، وأنَّ الاعتداء عليهم جريمةٌ لها عقابها الشرعي.

د. علاء الحلّي
رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميَّة
كُليَّة الكوت الجامعة
العراق/واسط-٢٠١٨/٣/١٧

١- سورة الممتحنة: الآية ٨.

٢- البخاري في صحيحه (٣١٦٦).

الفصل الأوَّل

مقاربات بينَ الإسلام والأديان السماويِّة الأُخرى

(الديانة المسيحيَّة أنموذجاً)

خلال التاريخ الطويل الذي قطعته الإنسانيّة في رحلتِها عبر الأجيال؛ أنَّها شهدتْ كثيراً من الديانات، إذ أرسل الله تبارك وتعالى إلى الناس الكثير من الأنبياء والمرسلين، وفي ذلك قال تعالى في القرآن الكريم:﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾[1]. وقال أيضاً في موضعٍ آخر: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[2].

وعلى الرغم من كُلِّ ذلك؛ إلَّا أنَّ المعروف أنَّ هناك ديانتين إلهيتين يُسمِّي القرآن الكريم أتباعهما بـ (أهل الكتاب)، وقد أوصى الدين الإسلامي الحنيف بحُسْن المعاملة والعلاقة بين أبنائه والمسالمين من أتباع هاتين الديانتين، ما لم يكن من أهلها عُدوان أو طغيان على المسلمين، حتَّى بيَّن ذلك في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[3].

إنَّ الإيمان بالكتب السماويّة السابقة من عقيدة الإسلام وثوابته، إذ أقرَّ الإسلام أن من عقائد المسلم أن يُؤمن بكُلِّ أنبياء الله ورُسله (ع)، وبكُتُبه المنزَّلة من عنده كما نزلتْ، من دون أنْ ينالها أيُّ تحريفٍ أو تغيير، وقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾[4].

كما أنَّ الإسلام يدعو إلى التقارب مع أهل الكتاب ونبذ العصبية، والمسلمون يؤمنون بأنَّ الأديان السماوية كُلُّها على أصلها من عند الله، ويجب على أبنائها أنْ يتلاقوا جميعاً على كلمةٍ

١- سورة فاطر: الآية ٢٤.

٢- سورة غافر: الآية ٧٨.

٣- سورة الممتحنة: الآية ٨- ٩.

٤- سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

سواء، غير أنَّ العصبيَّة الدينيَّة كان لها دخلٌ كبيرٌ خلال عصور التاريخ في توسعة حدَّة الخلاف بين أبناء هذه الأديان. والإسلام بحكم أنَّه جاء أخيراً ومُكَمِّلًا؛ فإنَّه قَرَّر أن من أصوله الإيمان والتصديق بالأديان السماويَّة كُلِّها وبالرسل جميعاً.

ولا شكَّ في أنَّ الجوانب الأخلاقيَّة في الأديان السماويَّة الثلاثة التي يدين بها العالم اليوم في أغلبيَّته تتقارب إن لم تتوافق، ومن واجب المخلصينَ من أبناء هذه الأديان الثلاثة أنْ يتَّخِذوا مِن تَوَافُق هذه الجوانب مِفْتاحاً للتلاقي على الكلمة السَّواء التي نرجو إذا صدقوا النية وأخلصوها وصلوا إلى دين الله الحقِّ القويم الدائم، الذي نزل على محمد (ص)، ونَطَقَ بِهِ التنزيل قاصداً جميع شرائعه، وفي ذلك قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾[1].

والجدير بالذكر؛ فللفكر الإسلامي في كُلِّ الأديان التي سبقته رأيٌ وحكمٌ واضحٌ، إذ هي عنده: إمَّا **ديانات سماويَّة** صحيحة كالديانة اليهوديَّة والمسيحيَّة، وإمَّا **ديانات مُوضوعة** كالبوذيَّة[2] والكونفوشيوسيَّة[3]..... إلخ.

١- سورة آل عمران: الآية ١٩.

٢- **البوذيَّة:** وهي من الديانات الوضعيَّة التي ظهرتْ في الهند في القرن الخامس قبل الميلاد. وكانتْ في البداية تناهض الهندوسيَّة وتتجه إلى العناية بالإنسان. كما أنَّ فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير. وهي تعتبر نظاماً أخلاقيَّاً ومذهباً فكريَّاً مبنياً على نظريَّات فلسفيَّة، وتعاليمها ليست وحياً؛ وإنَّما هي آراء وعقائد في إطار ديني. أسسها سدهارتا جوتاما الملقب بـ(**بوذا**)٥٦٠– ٤٨٠ (ق. م)، وبوذا تعني العالم، ويُلقب أيضاً بـ(**سكيا موني**)، ومعناه المعتكف. يعتقد البوذيون أنَّ بوذا هو ابن الله، وهو المخلّص للبشرية من مآسيها وآلامها؛ وأنَّه يتحمل عنهم جميع خطاياهم. في تعاليم بوذا دعوة إلى المحبة والتسامح والتعامل بالحُسنى، والتصدُّق على الفقراء وترك الغنى والترف، وحمل النفس على التقشف والخشونة، وفيها تحذير من النساء والمال، وترغيب في البُعد عن الزواج. ليس هناك ما يثبت أن للبوذيَّة جذوراً فكريَّةً أو عقائديَّة إلَّا أنَّ الناظر في الديانات الوضعيَّة التي سبقتها أو عاصرتها يجد بينها وبين البوذيَّة شبهاً من بعض الجوانب مثل: الهندوسيَّة: في القول بالتناسخ والاتجاه نحو التصوف. الكونفوشيوسيَّة: في الاتجاه إلى الاعتناء بالإنسان وتخليصه من آلامه. وتنتشر الديانة البوذيَّة بين عددٍ كبيرٍ من الشعوب الآسيويَّة، إذ يدين بها أكثر من ستمائة مليون نسمة، ولهم معبد ضخم في كاتمندو بالنيبال. للمزيد من التفصيل يُراجع؛ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: **الملل والنحل**، جـ٢؛ أبو زهرة، محمد: **مقارنة الأديان (الديانات القديمة)**؛ الحيني، محمد جابر عبد العال: **في العقائد والأديان**.

٣- **الكونفوشيوسيَّة:** وهي ديانة أهل الصين القديمة، وترجع إلى الفيلسوف (**كونفوشيوس**) الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعياً إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينيَّة التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، مضيفاً إليها جانباً من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم. وهي تقوم على عبادة إله السماء أو الإله الأعظم، وتقديس الملائكة، وعبادة أرواح الآباء والأجداد. كان كونفوشيوس مداوماً على إقامة الشعائر والطقوس الدينيَّة، وكان يعبد الإله الأعظم والآلهة الأخرى على غير معرفة بهم ومن دون تثبُّت من حقيقة الآراء الدينيَّة تلك. كما أنَّه كان مُغرماً بالسعي لتحقيق المدينة الفاضلة التي يدعو

وإمَّا **ديانات باطلة** كعبادة العرب في زمن الجاهليّة للأصنام والأوثان المصنوعة من الأحجار والخشب والتمر إلى غيرها.

وقد حدَّد الإسلام طبيعة علاقته بالأديان السماويّة الصحيحة من خلال الاعتراف بها، لأنّه يؤمن بأنَّها تتحد معه بماهيَّة الدين ولكن بنبوُّاتٍ مُتعدَّدة، وشرائع مُختلفة هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر؛ فالإسلام لا يتعصَّب لذاته ولا لمبادئه، ولا يؤمن – أيضاً– بثقافة إقصاء الآخر، وهذا ما صرَّح به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[1].

أمَّا عن معاملة المسلمين لغيرهم من أصحاب الديانات الأُخرى؛ فنجد أنَّ القرآن الكريم قد وضع قاعدة تُعدُّ الدستور الأساس لذلك، إذ قال: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[2]؛ فالآية واضحة تماماً في تشخيص طبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم، إنَّها علاقة قائمة على أمرٍ أعظم من العدل الذي هو إعطاء كُلَّ ذي حقٍّ حقَّه؛ بل ترتقي هذه العلاقة إلى مرحلة الإحسان، وهو مستوىً أعلى وأرقى، وهو الزيادة على الحقِّ فضلاً.

إليها، وهي مدينة مثاليّة لكنها تختلف عن مدينة أفلاطون الفاضلة، إذ إنَّ مدينة كونفوشيوس مثاليّة في حدود واقعٍ ممكن التحقيق والتطبيق، بينما مدينة أفلاطون تجنح إلى مثاليّة خياليّة بعيدة عن مستوى التطبيق البشري القاصر. لا يعتقد الكونفوشيوسيون **بالجنَّة والنار**، ولا يعتقدون **بالبعث** أصلاً، إذ إنَّ همَّهم مُنصبٌّ في إصلاح الحياة الدنيا، ولا يسألون عن مصير الأرواح بعد خروجها من الأجساد. وقد سأل تلميذٌ أستاذه كونفوشيوس عن الموت، فقال: "إنَّنا لم ندرس الحياة بعد، فكيف نستطيع أنْ ندرس الموت". **الجزاء والثواب**: إنَّما يكونان في الدنيا، إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشر. **القضاء والقدر**: يعتقدون بذلك، فإنْ تكاثرت الآثام والذنوب كان عقاب السماء لهم بالزلازل والبراكين. **الحاكم ابن للسماء**: فإذا ما قسا وظلم وجانب العدل؛ فإنَّ السماء تسلّط عليه من رعيته من يخلعه ليحلَّ محلَّه شخص آخر عادل. **الأخلاق**: هي الأمر الأساس الذي تدعو إليه الكونفوشيوسيَّة، وهي محور الفلسفة وأساس الدين، وهي – أيضاً– تسعى إليه بتربية الوازع الداخلي لدى الفرد ليشعر بالانسجام الذي يسيطر على حياته النفسيَّة؛ ممَّا يخضعها للقوانين الاجتماعيَّة بشكل تلقائي. للمزيد من التفصيل يُراجع، سعفان، حسن شحاته: **كونفوشيوس (النبي الصيني)**؛ Lin Yutang: **The Wisdom of Confucius** .

١– سورة البقرة: الآية ١٣٦.

٢– سورة الممتحنة: الآية ٨.

كما قدَّمتْ الآية لفظ البر على لفظ القسط، وفي ذلك إشارة رائعة من الآية إلى كيفيِّة معاملة غير المسلمين، إنَّها علاقة قائمة على البر والإحسان، والشيء الرائع أنَّ الإسلام سمَّى غير المسلمين داخل مجتمعه (أهل الذمَّة)؛ أي أهل العهد والضمان والأمان، لأنَّ لهم عهد الله، وضمان رسوله (ص)، وأمان جماعة المسلمين على أنْ يعيشوا في حماية الإسلام وتحت راية المجتمع الإسلامي آمنين مطمئنين[1].

ويُفهمُ من المصطلح (أهل الذمَّة) عند العرب؛ أي أنَّكَ تقولُ: (**أنتَ في ذمتي**)، أو: (**أنتَ في حمايتي ورعايتي وكنفي، لا أؤذيكَ ولا أسمح لأحدٍ بأذيتكَ**). ويمكن استبدال هذه الكلمة حالياً بما يُسمَّى بالعُرف السياسي باسم: (**حاملي الجنسيِّة الإسلاميِّة**)، وهؤلاء – في الحقيقة– مواطنون كبقيِّة أفراد المجتمع الإسلامي[2]؛ وهم — بهذا– يكون له من الحقوق مثل ما للمسلمين، كما أنَّ عليهم ما على المسلمين من الواجبات، إذ إنَّ أوَّل هذه الحقوق هي تمتّعهم بحماية الدولة والمجتمع الإسلامي، بالإضافة الى الحقوق والواجبات التي سوف نبيِّنها في هذا الفصل من خلال المباحث الآتية تباعاً:

١– يُنظر، الكاساني، أبو بكر بن مسعود: **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، مج٧، ص١١٠؛ المقدسي، أبو محمد موفَّق الدين عبد الله بن أحمد: **المُغني**، مج٨، ص٤٩٦.

٢– للمزيد من التفصيل يُنظر، زيدان، عبد الكريم: **أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام**، ص٦٥.

المبحث الأوَّل

الامتداد الشرعي بينَ الإسلام والمسيحيَّة[1]

من خلال النصوص المُقدَّسة (الكتاب المُقدَّس– القرآن الكريم)

بينَ المسيحيَّة والإسلام علاقةٌ وطيدة حتَّى قبل ظهور الإسلام من خلال الدعوة المحمديَّة. وبحسب ما ذكره رواة السيرة النبويَّة؛ فإنَّ أوَّل من تنبأ بنبوءة نبي الإسلام محمد بن عبد الله (ص) منذ صباه؛ هو الراهب النصراني[2] (بحيرى سارجيوس)، عندما التقاه في أثناء رحلته مع عمَّه أبو طالب إلى بلاد الشام.

والحقُّ أنَّ الكتاب المقدَّس قد تنبأ فعلاً بالنبي محمد (ص)، ونصوص الإنجيل خير دليل على ذلك، إذ جاء في أحد نصوصه: **"إنْ كنتم تحبوني، فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم مُعزيًا آخَر؛ ليمكث معكم إلى الأبد"**[3].

١– يخوضُ الإسلام — اليوم– في قِبال الغرب معركةً شرسةً لكسب الشرعيَّة والقبول؛ فمن جانبٍ يحاولُ دُعاة الإسلام في أوروبا إقناع المسيحيين واليهود أنَّ الإسلام هو دينٌ سماوي. ومن جانبٍ أخر تجدهم يؤكِّدون أنَّ الإسلام يؤمن بنبوَّة موسى وعيسى (ع)، وأنَّ نبي الإسلام محمد بن عبد الله (ص) هو استمرار لجميع الأنبياء (ع)؛ بل هو خاتم الأنبياء والرسل جميعاً.

٢– **النصارى**: هم أتباع السيد المسيح عيسى بن مريم (ع) الذي سُمي ناصريًّاً؛ حيثُ نشأ في بلدة الناصرة (في فلسطين)، وبالتالي سمَّى أتباعه بالنصارى؛ وهم — بذات الوقت– أهل الكتاب، أيّ أهل الكتاب المقدَّس، أو أنَّهم أهل الإنجيل. وقد ذكرهم القرآن الكريم – النصارى– بأنَّهم أهل خير ورحمة وموَدَّة، عرفوا الله من قبل، وله مكانة عظيمة عنده، فهم مؤمنون متعبدون ساجدون، وذلك في قوله تعالى: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ* يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾/ (سورة آل عمران: الآية ١١٣– ١١٤). وكذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا**﴾/ (سورة النساء: الآية ١٣١). كما أكَّد القرآن الكريم أنَّهم كانوا مرجعٌ من المراجع المهمَّة يُزيلون الشكَّ عندما تظهر بعضُ الحقائق، وهم أهل الرأي والإفتاء الشرعي، إذ قال تعالى: ﴿**فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾/ (سورة يونس: الآية ٩٤)، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾/ (سورة الأنبياء: الآية ٧)؛ للمزيد من التفصيل يُراجع، غبَّور، منير، وعثمان، أحمد: **المسيحيَّة في الإسلام**، ص٨١– ٨٢.

٣– إنجيل يوحنا، الإصحاح: (١٤– ١٥).

وفي اللغات الأجنبيَّة: **"فيعطيكم باركليتوس؛ ليمكث معكم إلى الأبد"**؛ والمعنى الحرفي لكلمة: **(باركليتوس)** اليونانيَّة؛ هو أحمد، وهو من أسماء النبي محمد بن عبد الله (ص)[1].

كما وردَ في الكتاب المقدَّس على لسان السيد المسيح (ع)، وهو يخاطب تلاميذه قبل أنْ يرحل: **"لكني أقول لكم الحقَّ، إنَّه خيرٌ لكم أنْ أَنطلِق؛ لأنَّه إنْ لم أنطلق لا يأتيكم المُعزِّي"**. ثمَّ يواصل المسيح (ع) الحديث عن ذلك المعزي قائلاً: **"إنَّ لي أموراً كثيرةً أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أنْ تحتملوا الآن، وأمَّا متى جاء ذاك روح الحقِّ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنَّه لا يتكلم من نفسِه، بل كُلّ ما يسمع يتكلَّم به، ويُخبركم بأمور آتية"**[2].

ومن خلال ما تقدَّم؛ نجد أنَّ السيد المسيح (ع) يُخبر تلاميذه قبل أنْ يرحل مباشرة بأنَّه لم يقلْ لهم كُلَّ شيءٍ، وأنَّ الذي منَعه من ذلك أنَّهم لا يستطيعون احتمال هذه الأمور في هذا الوقت، وهذا إعلانٌ صريح من المسيح (ع) بأنَّ الشريعة التي جاء بها لم تَكتمِل بعدُ، وأنَّ ذلك المعزي هو الذي سيُكملها من بعده بدليل كلامه (ع): **"وأمَّا متى جاءَ ذاكَ روح الحقِّ، فهو يرشدكم إلى جميع الحقِّ"**.

ولذا؛ فالسؤال الذي يتبادر إلى الذهن بهذا الصدد؛ هو: مَن هو هذا المعزي أو روح الحقِّ الذي بشَّر به السيد المسيح عيسى بن مريم (ع)؟

وبناءً عليه؛ فالسيد المسيح (ع) يقول: **"إنَّ ذلك المعزي أو رُوح الحق، لا يأتي إلَّا بعد ذهابي، إن لم أنطلق، لا يأتيكم المعزي"**. ويُقرُّ بأن المعزي هو خير منه؛ ولذلك قال (ع) لتلاميذه: **"خيرٌ لكم أن أنطلق"**، وكلمة (خير) بمعنى أفضل، والسيد المسيح (ع) يقول – أيضاً– عن هذا المعزي إنَّه: **"يخبركم بأمور آتية"**.

إنَّ تلك الصفات التي صرَّح عنها السيد المسيح (ع)؛ لا تنطبق إلَّا على النبي محمد بن عبد الله (ص)، إذ أخبرَنا بأمور غيبيَّةٍ كثيرة؛ سواءً عن الدنيا وما سيَحدُث فيها بعد وفاته، أو عن الآخرة، وما بها من بعثٍ وحساب وجنَّةٍ ونار.

كما قال السيد المسيح (ع) عن ذلك المعزي: "يرشدكم إلى جميع الحقِّ"، وهذا لا ينطبق إلَّا على رسول الإسلام محمد بن عبد الله (ص)؛ فهو الذي أرشد الناس إلى جميع الحقِّ، فعرف الناس بربِّهم الواحد، وأزال الأوهام التي استعبَدتْ عقول الناس من عبادة غير الله تارة، والإشراك به تارة أخرى، وعلَّم الإنسان غاية وجوده ودوره في الحياة، وبيَّن العلاقة السليمة بين المخلوق

---

١ – يُنظر، الشرقاوي، جمال الدين: نبي أرض الجنوب (بحث حول كلمة بارقليط).

٢– إنجيل يوحنا، الإصحاح: ١٣، الفقرات: (٧– ١٦).

وخالقه، وبين الناس بعضهم بعضاً، ووضَّح أصول التشريعات التي فرضها الله – عزَّ وجلَّ– لعبيده؛ ليَصلح بها بنو البشر، ويستقيم بها أمرهم في كُلِّ زمانٍ ومكان؛ ولذلك يخاطب الله نبيه الكريم (ص) في كتابه المجيد قائلاً: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[1].

وقال السيد المسيح (ع) أيضاً: "**لأنَّهُ لا يتكلم من نفسه، بل كُلُّ ما يسمع يتكلم به**"، وهذا ينطبق على الرسول الكريم محمد بن عبد الله (ص) الذي قال الله عنه سبحانه وتعالى في كتابه المجيد: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[2].

مَن هنا يحقُّ لنا أنْ نتساءل: من ذلك المعزي الذي بشَّر به السيد المسيح (ع)؟ وهل أتى نبيٌ بعد السد المسيح (ع) إلَّا نبي الإسلام محمد بن عبد الله (ص)؟

ولذا؛ فقد تعيَّن أنْ يكون ذلك المعزي أو روح الحقِّ، تبشيراً بمجيء النبي محمد (ص)، حيث اجتمعتْ فيه كُلُّ الأوصاف التي صرَّح بها السيد المسيح (ع)، كما تتحقَّق فيه معنى الأفضليَّة؛ إذ إنَّه (ص) خاتم النبيِّين الذي جاء بشريعةٍ عامَّة وخالدة.

ولذا؛ فنحن كمسلمين نعتقد أنَّ السيد المسيح (ع) بقوله: "**إنَّ لي أموراً كثيرة أيضاً لأقولَ لكم، ولكن لا تستطيعونَ أنْ تحتملوا الآن، وأمَّا متى جاءَ ذاك روحُ الحقِّ، هو يرشدكم إلى جميع الحقِّ**"؛ إنَّما يَقصد بذلك أنَّهم غير مُهيَّئينَ لتلقِّي جميع الحقِّ واحتمال التشريع الكامل، وأنَّ النبي الذي سيُبعثُ بعده سوف يقوم بتلك المهمَّة عندما يكون العقل البشري أكثر نُضجاً، والبشريَّة مهيأة لتلقِّي تعاليم الشريعة الجامعة.

وإذا كان النبي محمد (ص) يقول عن نفسه: "**أنا خاتمُ النبيينَ**"[3]، وقال أيضاً: "لا نبي بعدي"[4]، وقال الله تعالى عنه في كتابه الكريم: ﴿**وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾[5]. والمهم بهذا الصدد: هل أخبر السيد المسيح (ع) عن نفسه أنَّه قد ختمَ النبوُّة؟

ويكفينا جواباً ما جاء في الكتاب المقدَّس: "**احترزوا الأنبياءَ الدَّجالينَ الذينَ يأتونَ إليكم لابسينَ ثيابَ الحملان، ولكنَّهم من الداخل ذئابٌ خاطفة، من ثمارهم تعرفونهم، هل**

١- سورة النحل: الآية ٨٩.

٢- سورة النجم: الآية ٣- ٤.

٣- رواه البخاري، محمد بن أسماعيل: **صحيح البخاري**، رقم الحديث: ٣٥٣٥.

٤- رواه أبو داود: **سُنن أبي داوود**، رقم الحديث: ٤٢٥٢؛ والترمذي، أبو عيسى: **سُنن الترمذي**، رقم الحديث: (٢٢١٩).

٥- سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

يُجنى من الشوك عنب أو من العليق تِين؟ هكذا كُلُّ شجرةٍ جيدة تُثمر ثمراً جيداً، أمَّا الشجرة الرديئة، فإنَّها تُثمِرُ ثمراً رديئاً، لا يمكن أنْ تُثمرَ الشجرة الجيدة ثمراً رديئاً، ولا الشجرة الرديئة ثمراً جيداً، وكُلُّ شجرةٍ لا تثمرُ ثمراً جيداً، تُقطعُ وتُطرَحُ في النارِ، إذاً من ثمارِهم تعرفونهم"[1].

ولذا؛ فالسيد المسيح عيسى بن مريم (ع) بهذه الكلمات الرائعة يُبيِّنُ لتلاميذه كيف يُفرِّق بين النبي الصادق والنبي الكاذب، ومجرَّد وضْع ذلك المقياس بين النبي الصادق والنبي الكاذب يُعتبَر دليلاً على إمكانيَّة أنْ يُبعثُ نبيٌّ آخَر بعد السيد المسيح (ع)، هذا من جانب؛ ومن جانبٍ أخر؛ فلو كان السيد المسيح (ع) هو آخِر الأنبياء لكفاه أنْ يقول: **"أنا آخِر الأنبياء، فلا تتَّبعوا أحداً يأتي بعدي وينتهي الأمر"**.

١- إنجيل متى، الإصحاح: ١٣، الفقرات: (٧- ١٥).

المبحث الثاني

موقف الإسلام من غير المسلمين خارج المجتمع الإسلامي

ينقسم غير المسلمين – بحسب الفكر الإسلامي- خارج المجتمع الإسلامي إلى ثلاث فئات، وفي هذا المبحث سنعرض لهذه الأقسام:

أوَّلاً- المحايدون:

وهم من الأديان الأخرى "التي ليستْ في حالة حرب مع المسلمين، ولا تربطهم بالمسلمين معاهدات ولا علاقات، وليس بينهم وبين المسلمين حالة حرب أو عداء مُعْلن، فهؤلاء لهم السلام، وعدم الاعتداء ما داموا على حالة من الحياد، مع استعداد المسلمين لقبول أي بادرة لإنشاء علاقات صداقة وتعاون"[1]. والأصل في علاقة المسلم مع الخارج غير المسلم؛ هو السلام والتعاون والبر والإحسان.

وكُلُّ الذي تقدَّم؛ إنَّما يُستمد من قوله تعالى: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[2].

كما أنَّ للحياد حالة أُخرى، وهي إذا كان المسلمون في حالة حربٍ مع عدوٍ مُعيَّن، وهناك قوم آخرون لم يدخلوا هذه الحرب، وتربطهم بالمحاربين للمسلمين علاقات، ولكنّهم تجنَّبوا الدخول في الحرب ضدَّ المسلمين؛ فهؤلاء يجري عليهم حكم الحياد من المسالمة، إذ قال تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا**﴾[3].

ثانياً- المعاهدون:

١- القاسمي، ظافر: **الجهاد والحقوق الدوليَّة العامَّة في الإسلام**، ص٨٧ وما بعدها.

٢- سورة الممتحنة: الآية ٨.

٣- سورة النساء: الآية ٩٠.

وهم من يرتبطون من خارج بلاد المسلمين بمعاهدات واتفاقيات ومواثيق مع المسلمين[1]. فهؤلاء لهم الوفاء الكامل، والسلام الكامل، والتعاون على مبدأ العدالة، والاحترام المتبادل، ويجب على المسلمين الوفاء لهم بعهودهم وعدم الإخلال بها، ما داموا أوفياء من جانبهم، لأنَّ الوفاء بالعهود والمواثيق من أعظم الواجبات الإسلاميَّة، إذ قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾[2].

ثالثاً– المحاربون:

وهم الذين في حالة حرب مع المسلمين، وذلك "بسبب اعتدائهم وظلمهم وأذيتهم للإنسان مسلماً أو غير مسلم، وبسبب منعهم لانتشار دعوة الله تعالى، والوقوف بوجهها بالقوة والعنف. فهؤلاء تنطبق عليهم قوانين الحروب"[3].

وبناءً على كُلِّ ما تقدَّم؛ نجد أنَّ موقف الإسلام واضح جداً، فهو يمدُّ جسور السلام والأخوَّة اتجاه الأديان الأُخرى وأتباعها؛ وإذا حدث عبر فترة من فترات تاريخ العلاقة بين المسلمين وغيرهم أيُّ تغيير في هذه العلاقة نحو السلبية في التعامل، والقسوة في الاحتكاك، والوصول إلى حدِّ الحروب والاقتتال؛ فإنَّ ذلك التغيير يجب أنْ ننسبه – قطعاً– إلى عوامل أخرى لا علاقة لها مطلقاً بجوهر الإسلام، وحقيقة رسالته.

وما يحدث اليوم من أعمالٍ إرهابيَّةٍ باسم الإسلام؛ لا تمتُّ إلى الدين الإسلامي النقي أيَّ صلةٍ، لا من قريبٍ ولا من بعيد، وما حصل من اعتداءاتٍ قام بها هؤلاء على الكنائس والأديرة، وسبي النساء من الأقليَّات والأديان الأُخرى سواءً أكانوا من المسيحيين أو من غيرهم؛ فهو لا يمثِّل الواجهة الحقيقيَّة للفكر الإسلامي؛ بل إنَّ الإسلام بريءٌ من كُلَّ ما ارتُكب من أفعالٍ يندى لها الضمير الإنساني الحي باسمه.

١– الزُحيلي، وهبة: **آثار الحرب في الفقه الإسلامي (دراسة فقهيَّة مقارنة)**، ص١٧٧.

٢– سورة التوبة: الآية ٤.

٣– الزُحيلي، وهبة: **آثار الحرب في الفقه الإسلامي (دراسة فقهيَّة مقارنة)**، المرجع السابق، ١٨٤.

ومن جانبٍ أخر؛ فإنَّ ما حدث من أخطاءٍ من قِبل المسلمين على المستوى التاريخي؛ فيجب النظر إلى الأسباب التي دفعتهم إليها؛ إذ غالباً ما نرى أنَّ سبب تغيُّر العلاقة إلى السلبيَّة، هو في الحقيقة ردة فعل نتيجةً للأخطاء التي تُرتكب من قِبل غير المسلمين بحقِّ المسلمين، وهي في الغالب — لو دقَّقنا- أخطاءٌ سياسيَّة.

وقد حدث في بعض فترات التاريخ أنْ قام بعض عوام المسلمين بالاعتداء على بعض الكنائس والمعابد في مصر والشام، ولكن الحكام المسلمين آنذاك كفّوا أيدي العابثين، وقدموا المساعدات اللازمة لغير المسلمين، إلَّا أنَّ السبب في تصرف عوام المسلمين كان ردة فعل على ما قام به البعض من غير المسلمين من عمليَّات إحراق بعض المساجد والبيوت؛ فما كان من بعض عوام الناس إلَّا الرد بمثل تلك الطريقة[1].

وخيرُ دليلٌ على ما قدَّمناه؛ شهادة المؤرِّخ البريطاني الشهير **ستيفن رنسيمان** (ت: **١٩٩١**)[2]، إذ يقول: **"لم يُثرِ التعصبُ الإسلامي؛ إلَّا التعصُّب المسيحي الذي دلَّ عليه ما قام به الصليبيون من سفك الدماء"**[3].

والجدير بالذكر؛ فإنَّ الإسلام احترم وجود الآخرين بكُلِّ مكوناتهم، وهم المخالفون له في الرأي والاعتقاد، واعترف بكيانهم دائماً، سواءً أكانوا أفراداً أم دولاً، فقد صرَّح القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً**

١- للمزيد من التفصيل يُنظر، الطويل، توفيق: **قصَّة الاضطهاد الديني في المسيحيَّة والإسلام**، ص١٥٤.

٢- **جيمس كوجران ستيفن رنسيمان:** يتميَّز عن الكثير من أنداده من المؤرخين الغربيين أنَّه سليل أسرة بريطانيَّة ثريَّة، لبَّتْ أدواراً خطيرة في مجال السياسة والاقتصاد منذُ أواخر القرن التاسع عشر وامتداد القرن العشرين. ولد في نورثمبرلاند على الحدود الاسكتلنديَّة- البريطانيَّة في عام ١٩٠٣م، وكان أجداده الأوائل قد عبروا هذه الحدود وغادروا مناطقهم الجبليَّة ليستقرَّوا جنوباً في المنطقة السهيلة شمال انكلترا. ارتبطتْ مكانة أسرته بجده ووالده الذين كانا أصبحا عضوين في مجلس اللوردات البريطاني، وله الكثير من المؤلفات منها: المانوية في العصور الوسطى، تاريخ الحروب الصليبيَّة، الانشقاق الشرقي، الصلاة الصقليَّة، سقوط القسطنطينيَّة، الكنيسة العظيمة في ألاسر، الكنائس الأرثدوكسيَّة والدولة العلمانيَّة، الثيوقراطيَّة البيزنطيَّة، النهضة البيزنطيَّة المتأخَّرة، وأسلوب وحضارة بيزنطة، وكتاب عن مدينة مسترا ١٩٨٠، وختم كتبه بكتاب في أدب الرحلات بعنوان: (أبجديَّة المسافر)؛ للمزيد من التفصيل يُراجع، الملا جاسم، ناصر عبد الرزاق: **المؤرِّخ ستيفن رنسيمان وكتابه تاريخ الحروب الصليبيَّة**، مجلَّة جامعة الموصل، مج٩، العدد: ٣٢، جامعة الموصل، لسنة: ٢٠١٣، ص١٩٦- ١٩٧.

٣- ريسنمان، ستيفن: **تاريخ الحروب الصليبيَّة**، ج١، ص٤٢٧.

وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1]. وكذلك في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[2].

ولذا؛ فالأواصر والوشائج التي تربط المسلمين بغيرهم من الأديان والأقليَّات الأخرى؛ هي روابط أخوَّة في الإنسانيَّة يلتقي من خلالها المسلمون مع البشر كافَّة؛ سواءً أكانوا من أصحاب الديانات السماويَّة أو من الأديان المذاهب والملل الوضعيَّة.

كما أنَّ الاتفاق في الاعتقاد ليس شرطاً لاستمرار الوجود على ظهر الأرض في مجمل التصوُّر الإسلامي، وبذات الوقت؛ فإنَّ الاختلاف في الاعتقاد لا يعني مطلقاً أنَّه سببٌ في لإلغاء الوجود – كُلَّه– من على وجه الأرض.

وبناءً على ذلك؛ فقد قال أصدق القائلين في كتابه العزيز: **﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾**[3].

ولا بدَّ من الإشارة — أيضاً– إلى إنَّ أتباع الديانات السماويَّة لهم وصاياهم الأخلاقيَّة التي اشتملتْ عليها دياناتهم. من هنا علينا التأكيد على النظر في تلك الوصايا، والسعي لتطبيقها عمليَّاً بين أبناء البشريَّة، واستغلال الإعلام والتعليم وتوجيههما وفق هذه الوصايا، من أجل تخليص البشريَّة من شبح الحروب وكوارث الاختلافات والإرهاب، والجوع والمرض والتخلف.

١– سورة المائدة: الآية ٤٨.

٢– سورة الحج: الآية ١٧.

٣– سورة الزُمر: الآية ٤٦.

المبحث الثالث

موقف المجتمع الإسلامي من غير المسلمين

للقاعدة: (**لهم ما لنا، وعليهم ما علينا**) – تلك القاعدة التي أقرَّها الفكر الإسلامي– دورُ مهم في توضح العلاقة بين المسلمين وغيرهم داخل المجتمع؛ وهذه القاعدة قائمة على أسلوب المعاملة بالمثل وفق مبدأ المساواة، وقد قِيل "قديماً: مَنْ عاملكَ كنفسه لم يظلمك. وهذه القاعدة هي (لهم ملنا، وعليهم ما علينا)"[1].

ورُبَّما تفسير هذه القاعدة ليس على إطلاقها؛ وإنَّما: لهم ما لنا من الحقوق والحُريَّات، وعليهم بعضُ الذي علينا من الواجبات. ويمكن تفسير هذه القاعدة – أيضاً– وفق البنود الآتية:

أوَّلاً– تأمين الحماية لهم من العدوان الخارجي: يفرض المجتمع الإسلامي أنْ تُؤَمَّن كُلَّ ضوابط الحماية لكُلِّ من رضي العيش بداخله.

ثانياً– تأمين الحماية الداخليَّة: وتشتمل هذه الحماية الآتي:

- **حماية الدماء والأبدان:** تعاضدتْ الأحاديث النبويِّة، وسلوك المسلمين الأوائل، وفكر أهل البيت (ع) على تحريم إلحاق أيَّ أذىً أو ظلمٍ بأيِّ إنسانٍ مواطن أو زائرٍ غير مسلم هو في ذمة المسلمين، وعهدهم من ذلك قول النبي الأكرم محمد (ص): (**ألا من ظلمَ معاهداً، أو انتقصه، أو كلَّفه فوقَ طاقتهِ، أو أخذ منه شيئاً بغيرِ طيب نفسٍ منه، فأنا حجيجهُ يوم القيامة**)[2]. وكذلك قوله (ص): (**من آذى ذميَّاً فأنا خصمهُ، ومن كُنتُ خصمهُ خصمتهُ يوم القيامة**)[3].
- **حماية الأعراض:** إذ لا يجوز في الإسلام إلحاق أيَّ أذىً بالمسلم أو غير المسلم؛ فلا شتم أو قذف أو تجريح أو حتَّى غيبة.

١– الحنفي، علاء الدين أبو بكر بن مسعود: **بدائع الصنائع**، ج٧، ص١٠٠.

٢– رواه أبو داود في سُننه، ج٢، ص٤٦.

٣– رواه الخطيب البغدادي: الجامع الصغير، ج٢، ص٤٧٣.

- **حماية الأموال:** وهي مشابهة لحماية الدماء والأعراض؛ وكان من ضمن المعاهدة التي وقَّعها النبي (ص) مع نصارى نجران قوله: (**ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبِيَعِهم، وكُلَّ ما تحت أيديهم من قليلٍ أو كثير**)[1].

والواقع التطبيقي لأحكام الشريعة الإسلاميِّة يُظهر بوضوح هذه الحماية لكُلِّ ممتلكات غير المسلمين؛ فلهم الحقَّ في دخول كُلَّ المعاملات الاقتصاديِّة وممارسة كُلَّ الصفقات إلى غير ذلك من الحُريِّة الاقتصاديِّة، وحقِّ التملُّك.

- **كفالة بيت المال:** يكفل المجتمع الإسلامي للمسلم وغيره كُلَّ الاحتياجات، وبخاصة عند العجز عن الكسب والعمل، وذلك لقول النبي (ص): (**كُلُّكم راعٍ، وكُلّكم مسؤولٍ عن رعيته، فالإمامُ راعٍ، ومسؤول عن رعيته**)[2].

والأمثلة على ذلك كثيرة؛ فأهلُ الذمَّة هم من أولى الناس مع المسلمين بالبرِّ والصلة والإحسان، إذ كانتْ ضمانات المجتمع المسلم واضحة ضدَّ الفقر والعجز والشيخوخة، ولكُلِّ فئات المجتمع لا تفريق بينَ مسلم وغيره.

فهذا المعلم الإمام علي بن أبي طالب (ع) يوصي مالك الأشتر حينما ولَّاه على مصر بالعدالة في تقسيم الأموال بين الرعيَّة مهما كانتْ توجَّهاتهم وانتماءاتهم وأديانهم، فيقول له: "**واجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكِ، وقِسْماً مِنْ غَلاتِ صَوَافِي الإسْلامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ**.... إلى أنْ قال (ع): "**واجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ**"[3].

- **الحُريَّات العامَّة:** وتشتمل هذه الحُريَّات على الآتي:

١- يُنظر، أبو يوسف إبراهيم بن يعقوب: **الخراج**، ص٧٨.

٢- رواه البخاري في صحيحه، ج١، ص١٦٠.

٣- يُراجع، **نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (ع)**، ص١١١.

١- **حُريَّة المُعتقد، وممارسة الشعائر، وصون أماكن العبادة:** إذ أقرَّ الإسلام بوضوحٍ تام حُريّة الاعتقاد لكُلِّ الناس، فلا إكراه لأحد على دخول الإسلام، وإنْ كان يدعوهم إليه. والدعوة إلى دخول الإسلام، وفي ذلك قال قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[٢]. وفي ذلك قال الإمام علي (ع): (**نتركهم وما يدينون**)[٣].

كما أنَّ الشواهد التاريخيِّة على هذا كثيرة من زمن النبي محمد (ص) إلى عصرنا الحاضر؛ فقد جاء في عهد النبي (ص) إلى يهود المدينة: (... **لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلَّا من ظلم وأَثِم**)[٤]. وفي عهده (ص) لأهل نجران: (... **ولا يغيِّر أُسْقفٌ من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيِّته، ولا كاهن من كهانته، وليس عليه دَنيِّة**)[٥].

لقد كان تسامح الإسلام الرفيع يتمثَّل في سماح النبي محمد (ص) لوفد نصارى نجران، إذ كانوا ستين شخصاً أنْ يدخلوا مسجده، وأنْ يجلسوا فيه بضعة أيام؛ فإذا حضرتْ صلاتهم قاموا متوجهين إلى الشرق على مرأى ومسمع من رسول الله محمد بن عبد الله (ص) من دون أدنى اعتراض منه أو منع[٦].

وقد حُفِظ رجال الدين المسيحيين واليهود من سطوة الحروب، إذ جاء في قول النبي الأكرم محمد (ص): (**لا تقتلوا الوِلدان، ولا أصحاب الصوامع**)[٧].

١- سورة النحل: الآية ١٢٥.

٢- سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

٣- يُنظر، ابن الهمام: **تكملة فتح القدير**، ج٧، ص٣٩٨.

٤- يُنظر، ابن هشام، عبد الملك بن هشام: **السيرة النبويَّة**، ج١، ص٥٧٠- ٥٨١.

٥- يُنظر، أبو يوسف، إبراهيم بن يعقوب: **الخراج**، مصدر سابق، ص٧٨.

٦- يُنظر، ابن هشام، عبد الملك بن هشام: **السيرة النبويَّة**، ج١، المصدر السابق، ص٥٧٤.

٧- رواه أحمد في مُسنده، ج١، ص٣٠٠.

كما نجد ذلك واضحاً في عهد الإمام علي (ع) إلى مالك الأشتر حينما ولَّاه على مصر، إذ أوصاه (ع) أنْ يكون مُحبَّاً للرعيَّة، محترماً لمشاعر الناس من أيِّ فئةٍ كانوا، سواءً أكانوا مسلمين أم من أهل الأديان الأخرى. ولا يخفى أنَّ في ذلك تثبيتاً لإنسانيَّة الإسلام واحترامه لمشاعر الناس، وتقوية لبنية النظام والحكومة.

قال (ع): (**وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ، واللُّطْفَ بِهِمْ، ولا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً، تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**)[1]. وفي خطبة الخليفة الأوَّل أبو بكر الصدِّيق (رض) لجيوشه في تحرير العراق وبلاد الشام: (**وسوف تمرُّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له**)[2].

وجاء في خِطاب الخليفة الثاني عمر بن الخطَّاب (رض) إلى أهل القدس ضمانة واضحة لحريَّتهم الدينيَّة، وحرمة معابدهم وشعائرهم ما نصه: (**هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطَّاب أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصُلبانهم سقيمها وبريئها، وسائر ملتها أنَّه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حَيّزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم، ولا يُضار منهم**)[3].

وإذا تحقَّقنا أكثر؛ نجد أن أعظم الشواهد الواقعيَّة على حرية المعتقد في الإسلام؛ هو ما يُرى الآن – وبعد فترة حكمٍ دامتْ أربعة عشر قرناً– من أماكن لدور العبادة: (الكنائس والمعابد والأديرة) مُنتشرة في كُلِّ مكان من بقاع العالم الإسلامي شرقاً وغرباً؛ وهي شاهد عيان تنطق بحُريَّة المعتقد التي جاء بها الإسلام. فلو أنَّ المسلمين كانوا كغيرهم من أتباع الملل والنِحل الأُخرى؛ لما شوهد برج كنيسة واحد، ولَمَا سُمِع صوت ناقوس.

٢– **حُريَّة الفكر والتعلُّم**: عندما أرسى الإسلام قواعد المجتمع الإسلامي، كان من بين أُسسه نشر العلم بين كُلِّ فئات ذلك المجتمع، وأبلغ دليل على ذلك هو كثرة الإنتاج العلمي

١– جُرداق، جورج: **علي وحقوق الإنسان**، ص١٠٥.

٢– يُنظر، الطبري، محمد بن جُرير: **تاريخ الرسل والملوك**، ج٢، ص٢٤٦.

٣– المصدر نفسه، ج٢، ص٤٤٩.

الذي ظهر على أيدي غير المسلمين في شتَّى المجالات العلميِّة، واشتهرتْ أسماء علماء كثر من اليهود والنصارى وغيرهم.

كما لا يوجد في أحكام الإسلام ما يمنع غير المسلمين من حُريِّة الفكر والتعلُّم؛ إذ إنَّ لهم تعليم أبنائهم وتنشئتهم وفق مبادئ دينهم، ولهم – أيضاً- إنشاء المدارس الخاصة بهم، حيث كانتْ أوَّل مظاهر هذه الحُريِّة قد ظهرتْ في تطبيقات الرسول (ص) العمليِّة، إذ كان من ضمن الغنائم التي آلتْ إلى المسلمين بعد فتح خيبر مجموعة كبيرة من نسخ التوراة فأمر النبي (ص) بإرجاعها مباشرة إلى أصحابها اليهود[١].

كانتْ الجامعات والمعاهد الإسلاميِّة عبر التاريخ مفتوحة على مصارعها "لأهل الذمة حتَّى تتلمذوا على أيدي علماء وفقهاء المسلمين، فدرس حُنين بن اسحاق(٨٥– ١٥١هـ)[٢] على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠– ١٧٣هـ)[٣] وسيبويه (١٣٥– ١٨٠هـ)[٤]، حتَّى أصبح حُجَّة

١– يُنظر، زيدان، عبد الكريم: **أحكام الذميين والمستأمنين**، ص١٠١.

٢– **حُنين ابن إسحاق:** مؤرخ من العصرين الأموي والعباسي، اسمه الكامل أبو بكر محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار المدني، ويُعتبر أوَّل مؤرِّخ عربي كتب سيرة رسول الإسلام محمد بن عبد الله (ص) وأطلق تسمية: (**سيرة رسول الله**) على كتابه. قضى ابن إسحاق معظم حياته في المدينة وبدأ بجمع الروايات المختلفة من مختلف المصادر الشفهيِّة التي كانتْ متوفرة آنذاك، ولم يكن اهتمامه الرئيس مُنصبَّاً على تدقيق صحة الروايات؛ وإنَّما كان غرضه جمع كُلَّ ما يمكن جمعه من معلومات عن الرسول محمد (ص). وفي عام ١١٥هـ، الموافق ٧٣٣م، بدأ بالتنقُّل من المدينة إلى الإسكندريَّة ثمَّ إلى الكوفة والحيرة ليستقرَّ في بغداد حيث وفَّر له الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور كُلَّ الدعم الممكن ليكتب عن تاريخ الرسول محمد (ص). وبما أنَّ الكتاب – على ما يبدو لنا– أقدم ما كُتب عن سيرة النبي محمد (ص)؛ فقد استند عليه كُتَّاب السيرة الذين جاءوا بعده مثل: ابن هشام والطبري على الرغم من تحفّظهم على بعض الروايات، علماً إنَّ ابن إسحاق نفسه ذكر في مُقدِّمة كتابه: (إنَّ الله وحده عليم أي الروايات صحيحة). وبغض النظر عن هذه الانتقادات؛ فإنَّ الكثير من المؤرِّخين والمستشرقين يعتبرونه مؤرِّخاً جيداً، إذ كان همَّه الرئيس الحفاظ على أيِّ رواية عن تاريخ رسول الإسلام؛ توفي في بغداد، ودُفن في مقبرة الخيزران؛ للمزيد من التفصيل يُراجع، وليد الأعظمي: **أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران**، ص١٢.

٣– **الفراهيدي:** هو الخليل بن أحمد بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الفراهيديّ الأزْدي، من الفراهيد، من كِبار علماء العربيَّة واللغة، وواضع علم العروض وصاحب فكرة أوَّل مُعجم عربي شامل. ولد بالبصرة، وكانتْ مثابةً للدّارسين ومقصِداً لطلاب العلم من سائر الآفاق، واتصل بأئمة اللغة العربية كعيسى بن عمر (ت١٤٨هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، وأبي الخطَّاب (ت١٧٧هـ) وبعض الرواة الأعراب. كان الخليل مُحبَّاً للعلم طالباً له، ومُكْبِراً للعلماء. يُذكر أنَّ الخليل بن أحمد البصري هو الذي أتمَّ العمل القرآني بوضعه رموز الفتحة والضمة والكسرة والشدَّة والمدود والوصل والإشمام والرّوم وغيرها. له: كتاب العين، والجمل في النحو، والنغم، والعروض، والشواهد..... إلخ؛ مجموعة من العلماء والباحثين: **الموسوعة العربيّة**، مج٨، ص٨٩٨.

٤– **سيبويه:** عمرو بن عثمان بن قَنْبَر، وكنيته المشهورة هي: (أبو بِشْر). قد لُقب بسيبويه، وأصبح هذا اللقب أشهر من اسمه، ومعناه رائحة التفاح. لم تذكر كتب التراجم شيئاً عن مكان أسرته، أو مستواها الثقافي أو الاجتماعي، فكُلُّ ما وصل عنه يومئ

في اللغة العربيِّة. وتتلمذ يحيى بن عدي(٢٨٠- ٣٦٤هـ)[١] على يد الفارابي (٨٧٤- ٩٥٠م)[٢]، ودرس ثابت بن قُرَّة (٢٢١- ٢٨٨هـ)[٣] على يد الخوارزمي (٧٨٠- ٨٥٠م)[١]"[٢].

إلى أنَّهُ كان من أسرةٍ فارسيَّة. وقد أغفلتْ كتب التراجم السنة التي وُلِد فيها سيبويه، غير أنَّ بعض الباحثين ذهبوا إلى أنَّهُ وُلد في سنة ١٣٥هـ، نشأ بالبصرة بعد أنْ رحلتْ أسرته من بلاد فارس إليها، واتَّجه إلى دراسة الفقه والحديث حتَّى خطّأه حَمَّادُ بن سَلَمة البصري (ت١٦٧هـ)، فاتَّجه إلى تعلُّم النحو. اختلف المؤرِّخون في السنة التي توفي فيها سيبويه، وأرجح الأقوال إنَّه تُوفِيَ سنة ١٨٠هـ. يُعدُّ كتاب سيبويه أقدم ما وصل في النحو العربي، وما زال مصدراً مهَّماً لكُلِّ النحَّاة واللغويين على مرِّ العصور، فقد حوى المسائل النحويَّة والصرفيَّة، وبعض مباحث فقه اللّغة والأصوات، ولولا هذا الكتاب لما وصلتْ آراء كثير من العلماء أمثال: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ)، وعيسى بن عمر الثقفي، وأبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي، ويونس بن حبيب، وغيرهم؛ مجموعة من العلماء والباحثين: **الموسوعة العربيَّة**، مج١١، ص٣٦٩.

١- **يحيى بن عدي:** هو أبو زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي التكريتي. هو فيلسوف ومترجم للفلسفة، صرف جلَّ عنايته للمنطق فلقِّب بالمنطقي. يبدأ القدماء بتعريفه بقولهم: إليه انتهتْ الرئاسة في المنطق ومعرفة علوم الحكمة، أيّ الفلسفة. ويضيف بعضهم أنَّهُ كان أوحد دهره. وكان أحد أبرز المترجمين للتراث الفلسفي وخاصَّة عن السريانيَّة إلى العربيَّة. وإلى جانب اشتهاره بالترجمة كان كثير الكتابة والنسخ، إذ كان عالي الهمَّة شديد الشَّغف بالعلم ومتابعة شؤونه، وقد بقي العديد من آثاره بخطِّ يده. ولد يحيى بن عدي في تكريت، وكانتْ في زمانه واحدةً من أكثر مدن العراق أهميَّة من جهة الفكر والثقافة وحلقات العلم والتعليم. ولكن بغداد هي محجَّة العلم والعلماء من قِبل طلاب العلم، ولذلك لا عجب في أنْ يؤمُّها يحيى بن عدي لمتابعة دراسته، وربَّما كان ذلك نحو سنة ٢٩٦هـ، أو بعد ذلك بقليل. تلقَّى علومه الفلسفيَّة مباشرة عن الفارابي وأبي بشر متى بن يونس، فقرأ على أبي بشر أوَّلاً، وعندما عاد إلى بغداد بعد إقامته في حرَّان قرأ على أبي نصر الفارابي، والفارابي تلميذ متَّى أيضاً، وكان ذلك ما بَيْنَ سنتي ٣١٢- ٣١٧هـ/ ٩٢٥- ٩٣٠م. وكذلك قرأ على غيرهما من أعلام الفكر والفلسفة في عصره؛ للمزيد من التفصيل يُراجع؛ ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص١٧٢.

٢- **الفارابي:** محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، ويُعرف بالمعلم الثاني: أكبر فلاسفة المسلمين. وهو تركي الأصل، مستعرب. ولد في فاراب (على نهر جيحون)، وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، وألَّف بها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام، واتَّصل بسيف الدولة ابن حمدان، وتوفي بدمشق. كان يحسن اليونانيَّة وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره، ويُقال: إنَّ الآلة المعروفة بالقانون، هي من وضعه، ولعلَّه أخذها عن الفرس فوسَّعها وزادها إتقاناً فنسبها الناس إليه. وعُرف بالمعلم الثاني، لشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الأوَّل)، وكان زاهداً في الزخارف، لا يحفل بأمر مسكن أو مكسب، يميل إلى الانفراد بنفسه، ولم يكن يوجد غالباً في مدَّة إقامته بدمشق إلَّا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض. له نحو مئة كتاب، ومنها: (الفصوص- ط) تُرجم إلى الألمانيَّة، و(إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها)، و(آراء أهل المدينة الفاضلة)، و(إحصاء الإيقاعات) في النغم، نحو ٣٠ ورقة، في معهد المخطوطات، و(المدخل إلى صناعة الموسيقى)، و(الموسيقى الكبير)، و(الآداب الملوكيَّة)، و(مبادئ الموجودات) رسالة تُرجمتْ إلى العبريَّة وطُبعت بها، و(إبطال أحكام النجوم) نسخته بطهران، و(أغراض ما بعد الطبيعة)، و(السياسة المدنيَّة)، و(جوامع السياسة) رسالة، و(النواميس)، و(الخطابة)، و(وما ينبغي أنْ يتقدَّم الفلسفة)..... إلخ؛ للمزيد من التفصيل يُراجع، الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، ج١، ص٢٩٣.

٣- ثابت بن قُرَّة: هو أبو الحسن ثابت بن قُرَّة بن عفان الحرَّاني نسبة إلى وطنه الأصلي حرَّان الواقعة من أعمال بلاد الشام .اشتهر ثابت بن قُرَّة بين علماء العصور الوسطى بعلم الهندسة، وكانوا يصفونه بسرعة البديهة وبأصالة التفكير. وقد مدحه المؤلف الكبير (**ول ديورانت**) في كتابه: (**قصَّة الحضارة**) قائلاً: (**إنَّ ثابت بن قُرَّة أعظم علماء عصره في علم الهندسة، وكان لامعاً بين إخوانه العرب، إذ أبدع في الهندسة، والجبر والأعداد المتحابَّة، والمربَّع السحري**). استوعب ثابت

٣- **حُريَّة التنقُّل**: لأهل الديانات الأُخرى غير المسلمين حُريَّة التنقُّل والحركة، والسفر والترحال، من بلدٍ لآخر، في أيِّ وقتٍ شاءوا، ولأيِّ اتجاهٍ ساروا.

ولذا؛ فقد جاء في العهد الذي أرسله النبي (ص) إلى أهل (أيلة)، وهم قومٌ من النصارى كانوا يقطنون بالقرب من العقبة، إذ جاء في العهد ما نصُّه: "**بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمنةٌ من الله، ومحمد النبي رسول الله إلى يوحنا بن رؤبة، وأهل أيلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر: لهم ذمة الله، وذمة محمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام واليمن... وإنَّه لا يحلّ أنْ يُمنَعوا ماءً يردونه، ولا طريقاً يريدونه من برٍ وبحر**"[٣].

محتويات مؤلَّفات الإغريق استيعاباً كاملاً، حتَّى إنَّه اقترح تحويرات عليها. كما أنَّ الفضل العظيم يعود إليه في إيجاد معادلة الأعداد المتحابَّة التي أعطاها علماء الغرب الأهميَّة الملحوظة عبر التاريخ. وخلف ثابت بن قُرَّة مؤلفات كثيرة في الرياضيات، والطب، والفلك، والفلسفة، كادتْ تكون مكتبة متكاملة في جميع فروع المعرفة، ومن أبرزها: كتاب العمل بالكرة، كتاب ترجمة واختصار المجسيطي لبطليموس، كتاب ترجم فيه كتاب جغرافية المعمورة لبطليموس، كتاب شرح فيه كتاب المعطيات في الهندسة لإقليدس، كتاب في قطع الأسطوانة، كتاب في المخروط المكافئ، كتاب في مساحة الأشكال، كتاب في المسائل الهندسيَّة، كتاب في إبطاء الحركة في فلك البروج، كتاب في أشكال إقليدس، كتاب حساب الهيئة، كتاب في تركيب الأفلاك. وله رسالة في تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسيَّة، وأُخرى في الأعداد المتحابَّة، وثالثة في مسيرة القمر، ورابعة في المربع وقطره، وخامسة في عمل شكل مُجسَّم ذي أربع عشرة قاعدة تحيط به كرة مُعلَّقة؛ للمزيد من التفصيل يُراجع؛ بن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر: **وفيات الأعيان**، ص٢٧٨.

١- **الخوارزمي**: هو محمد بن موسى، وحَسب الروايات فإنَّ أَصله من خوارزم، وهي منطقة تَقع في أوزبكستان، أَمَّا مسقط رأسِه فهي مدينة بغداد التي وُلد وتَرعرع فيها. ويُعدُّ العالم المسلم الشهير (الخوارزمي) من أَهم عُلماء الرياضيات المسلمين، إذ كان لأَعماله دورٌ كبير في تطوُّر علم الرياضيات، وبالأَخص فرع الجبر: (**algebra**) التي انتشرتْ عند الغرب، ودوره في نشر الأرقام الهنديَّة (المعروفة بالعربيَّة أحياناً). وقد وافته المنية في مدينة بغداد، بعد مسيرةٍ مليئة بالعطاء، فانياً عمره في علم الرياضيات والحساب. بلغ محمد بن موسى الخوارزمي أوجَّ عمله في الدولة العباسيَّة وذلك في عصر الخليفة المأمون، وعمل في دار الحكمة (خُزانة الحكمة)، التي أسسها الخليفة المأمون، حيث كان هدفه من تأسيسها هو نشر المؤلفات وأعمال العلماء، والبحث في الأعمال الغربيَّة واليونانيَّة، والعمل على ترجمتها، وخاصةً الأعمال العلميَّة والفلسفيَّة. وقد تولَّى الخوارزمي إدارة دار الحكمة في الفترة الواقعة ما بين ٨١٣- ٨٣٣م، حيث كانتْ تُمثل هذه المدة، فترة انشغال الخوارزمي بالعلم والأدب، واستطاع من خلال عمله في خُزانة المأمون الاطلاع على الأعمال الهنديَّة واليونانيَّة وترجمتها، كما أمضى وقتاً طويلاً في دراسة علوم الفلك، والجغرافيا، والتاريخ، والرياضيات، حيث أدَّى هذا التبحُّر الكبير إلى تقديم أعمال وكتابات مهمَّة في الجبر، والمثلثات، ورسم الخرائط، والعديد من المؤلفات. لقد ألَّف الخوارزمي العديد من الكتب التي ظلت مراجع أصيلة في مختلف العلوم لفتراتٍ طويلة من الزمن، ومن أهمِّها: كتاب الجبر والمقابلة، المختصر في حساب الجبر والمقابلة، صور الأرض، الجداول الفلكيَّة؛ للمزيد من التفصيل يُراجع، جهلان، طارق: **الأثر العالمي للحضارة العربيَّة الإسلاميَّة**، ج١، ص٢٢٢٥.

٢- يُنظر، هويدي، فهمي: **مواطنون لا ذمَّيون**، ص٧١.

٣- يُنظر، ابن هشام، عبد الملك بن هشام: **السيرة النبويَّة**، مصدر سابق، ج٢، ص٥٢٦.

٤- حُريَّة العمل[١] والكسب وتولي مناصب الدولة:

يُعدُّ العمل من الأمور المتاحة للمسلمينَ وغيرهم؛ فأبواب العمل مفتوحة للمسلمين ولغيرهم لممارسة أي عمل أو مهنة؛ وهذا ما دفعهم داخل المجتمع الإسلامي بكُلِّ ثقةٍ وطمأنينة، وأنْ يتوجَّهوا إلى الأعمال التي تدر أكبر قدر ممكن من الأرباح، إذ كانوا يعملون بالصُرافة وصياغة المجوهرات، والتجارة، ويمتهنون الطبابة[٢].

وكذلك الأمر بالنسبة لتولي وظائف الدولة؛ فلهم مطلق الحُريَّة في ذلك باستثناء الوظائف التي لها السمة الدينيَّة الاعتقاديَّة البحتة: كالإمامة العامَّة والقضاء. ولهم المشاركة فيما يُسمَّى بـ(مجلس الشعب) ترشيحاً وانتخاباً؛ لأنَّ عضويَّة هذا المجلس تفيد في إبداء الرأي للدولة وعرض مشاكل وأحوال المواطنين ومعالجتها[٣].

وتُعتبر شهادة **السير توماس أرنولد** (ت ١٩٣٠)[٤] صاحب كتاب: (**تاريخ الدعوة إلى الإسلام**) أبلغ دليل على ما سبق عرضه؛ إذ بيَّن أنَّ لأهل الذمة فترات طويلة تُعتبر من العهود الزاهرة في تاريخهم، لما لقيه هؤلاء من تسامح في ممارسة شعائرهم الدينيَّة، وفي بناء الكنائس والأديرة، وفي مساواتهم بالمسلمين في الوظائف؛ فكانتْ طوائف الموظفين الرسميين تضم مئات من

١- أعطى الإسلام للإنسان حُريَّة الفكر، وحُريَّة القول، وحُريَّة العمل، ولكن في الإطار المعقول الصحيح، ووفقاً لقاعدة: من عدم الإضرار بالآخرين وعدم الإضرار البالغ بالنفس. وحتَّى أنَّ الأكل والشُرب المضرينِ ضرراً بالغاً لا يجوزان؛ لأنَّهما إضرار بالنفس، والسُباب بالقول، والضرب ونحوهما غير جائزة؛ وذلك لأنَّها إضرار بالآخرين، والاستفادة من مواهب الحياة أكثر من القدر الصحيح لا يجوز، لأنَّه إضرار بالأجيال القادمة.

٢- يُنظر، أبو يوسف إبراهيم بن يعقوب: **الخراج**، مصدر سابق، ص٦٩.

٣- يُنظر، هويدي، فهمي: **مواطنون لا ذمَّيون**، مرجع سابق، ص٨٤.

٤- **توماس واكر أرنولد**: وهو مستشرق بريطاني شهير، بدأ حياته العلميَّة في جامعة كمبردج، حيث أظهر حُبَّه للغات، فتعلم العربيَّة، وانتقل للعمل باحثاً في جامعة عليكرا في الهند، حيث أمضى هناك عشر سنوات ألَّف خلالها كتابه المشهور: (الدعوة إلى الإسلام)، ثمَّ عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة لاهور. وفي عام ١٩٠٤م، عاد إلى لندن ليصبح أميناً مساعداً لمكتبة إدارة الحكومة الهنديَّة التابعة لوزارة الخارجيَّة البريطانيَّة، وعمل في الوقت نفسه أستاذاً غير متفرَّغ في جامعة لندن، وكان عضو هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلاميَّة التي صدرت في لايدن بهولندا في طبعتها الأولى. كما عمل أستاذاً زائراً في الجامعة المصريَّة عام ١٩٣٠م، ويُذكر أنَّه كان معلما للمفكِّر الإسلامي الهندي محمد إقبال؛ متوفَّر على شبكة الأنترنت، الموقع: **https://www.marefa.org**، تاريخ الزيارة: ٢٦/ ٣/ ٢٠١٨.

المسيحيين، وقد بلغ عدد الذين رُقوا منهم إلى مناصب الدولة العُليا من الكثرة لدرجة أثارتْ شكوك المسلمين[1].

٥- الحُريَّة الاجتماعيَّة:

والمقصود بها حُريَّة ممارسة كَلَّ النشاطات الاجتماعيَّة كالمهرجانات والأعياد والزيارات. ولذا؛ كانتْ سمة المجتمع الإسلامي هي التعايش السلمي بينَ كُلِّ طوائفه ومِلله، إذ كان النبي محمد بن عبد الله (ص) يعود مرضى غير المسلمين، ويزور جيرانه منهم، ويتفقَّد أحوالهم، فيحسن إلى محتاجهم، ويتجاوز عن مسيئهم. كما أنَّ احتفال غير المسلمين، لا سيَّما النصارى بأعيادهم ومناسباتهم من الأمور المألوفة لدى المجتمع الإسلامي في جوٍّ من الحُريَّة والتسامح[2].

١- يُنظر، هاني، يسري محمد: **تاريخ الدعوة إلى الإسلام**، ص٨١ وما بعدها.

٢- يُنظر، أبو الحسن، علي بن محمد: **الديَّارات**، ص١٤.

الفصل الثاني

السيد المسيح (ع) في التصوُّر القرآني

من المعروف أنَّ السيد المسيح عيسى بن مريم (ع) أحد أنبياء الله المرسلين، وصاحب كتاب الإنجيل الذي هو أحد الكتب السماوية الكبرى: (**التوراة، والإنجيل، والقرآن**). وأشار القرآن الكريم إلى أنَّ السيد المسيح (ع) كلمة الله ألقاها إلى السيد العذراء مريم بنت عمران (ع)، وأنَّه النبي الجديد إلى بني إسرائيل بعد نبي الله موسى (ع), وهذه الإشارة بيَّنها السيد المسيح (ع) مُذ كان في المهد كما ذكر القرآن الكريم ذلك في قوله سبحانه وتعالى : ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾[1].

وبناءً على ذلك؛ فالمسيح (ع) منذُ مولده أراده الله سبحانه وتعالى أنْ يكون نبيَّاً ككُلِّ الأنبياء (ع), إذ اصطفاهم الله في علمه الأزلي قبل أنْ يولدوا, حيثُ أحاطتْ بهم العناية الإلهيَّة ورعتهم وحفظتهم إلى حين تبليغ الدعوة.

تمثَّلتْ دعوة السيد المسيح (ع) في إعادة بني إسرائيل إلى جادة الصواب، بعد انحرافهم عن الدين الذي جاء به موسى (ع)، حيثُ إنَّهم ابتعدوا عن التوحيد وحجروا الدين. ولذا؛ فالسيد المسيح (ع) – وفق ما ذكره في القرآن الكريم– هو أحد الأنبياء من أُولي العزم من الرسل[2].

كما أنَّ الأناجيل أوردتْ تصريحات عديدة وإشارات تؤكِّد نبوُّة السيد المسيح (ع), ومنها ما جاء في إنجيل متى: (**ولمَّا دخلَ أورشليم؛ ضجَّتْ المدينةُ كُلُّها وسألتْ عن هذا: فأجابتْ الجموعُ هذا النبيُّ يسوع من ناصرةِ الجليل**)[3].

ووفقاً لِما تقدَّم من توضيحٍ؛ فقد جاء هذا الفصل مبيِّناً لكُلِّ ذلك، ومجيباً عن تساؤلات عدَّة من خلال المباحث الآتية تباعاً:

١– سورة مريم: الآية ٣٠.

٢– للمزيد من التفصيل يُراجع، الباش، حسن: **العقيدة النصرانيَّة بين القرآن الكريم والأناجيل**، ص١٠٢.

٣– إنجيل متى، الإصحاح: ٢١، الفقرات: ١٠– ١١.

المبحث الأوَّل

ألقاب السيد المسيح (ع) وولادته

أولاً– ألقاب المسيح في القرآن الكريم

الاسم يكون – دائماً– دليلاً على المسمَّى. ومن هُنا يمكن معرفة المنزلة الفريدة للنبي عيسى بن مريم (ع) من خلال آيات القرآن الكريم، حيث وصفه القرآن بعددٍ من الألقاب والصفات والنعوت والأسماء، إذ نجد في القرآن الكريم ألقاباً مُتعدَّدة تجعل السيد المسيح (ع) وجيهاً في الدنيا من بين الرُسل الذين كانوا قبله، إذ إنَّ هناك ألقاباً ينفرد بها على سائر الأنبياء والمرسلين (ع)[1]، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**﴾[2].

كما ينعت القرآن الكريم – عادةً– السيد المسيح (ع) بـ(ابن مريم). ولقب عيسى (ع) بالعبريَّة: (ايشوع)، أو (يشوع)، ومعناه في: (المخلِّص)، وهذا اسمه الشخصي المعروف به. واسمه بالعبرانيَّة: (يشوع)، وبالسريانيَّة: (يسوع). أمَّا تسميته عيسى؛ فعلى الأرجح أنَّها منقولة عن الروميَّة، وفي صيغة المنادى: (إيسو)؛ فوصلتْ إلى قلب الجزيرة العربيَّة على هذه الصورة: (عيسى)[3], وهو ابن مريم بنت عمران (ع) نسبةً إلى أمه.

ونسبه إلى أمه تشريفاً له ولها، وليس في هذه التسمية أيّ إهانة أو تحقير؛ لأنَّ هذه الأم اصطفاها الله تعالى على نساء العالمين، وفي ذلك صرَّح القرآن الكريم في قوله تعالى: [4]، والاصطفاء معناه الاختيار والانتقاء، ومريم (ع) اختارها الله تعالى لمنزلةٍ خاصة ومقام أسمى، إذ أنشأها في بيتٍ طاهرٍ، أي اختارها وألطف بها، حتَّى تفرَّغتْ للعبادة واتباع مرضاته[5].

١– يُنظر، الباش، حسن: **العقيدة النصرانيَّة بين القرآن الكريم والأناجيل**، مرجع سابق، ص٣٧.

٢– سورة مريم: الآية ٤٠.

٣– للمزيد من التفصيل يُراجع، حنبل، أحمد: **الأسامي والكُنى والألقاب**، ص١٣٠.

٤– سورة آل عمران: الآية ٤٢.

٥– يُنظر، القُرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢، ص٤١؛ والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين: **الدر المنثور**، ج٢، ص٣٢؛ والزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري: **معاني القرآن**، ج١، ص٣٩٩.

وقِيل معناه اصطفاكِ لولادة السيد المسيح (ع)، إذ ذكر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)[١] في ذلك قوله: "اصطفاكِ أوَّلاً حين تقبلكِ من أمكِ ورباكِ وأختصكِ بالكرامة"[٢].

ونسبه إلى أمه ليس لأنَّه مجهول الأب؛ فتلك إهانة ينتفض لها القرآن الكريم، ويكفَّر اليهود بها[٣]؛ بل شهادة دائمة من القرآن الكريم لأمومة السيد مريم البتوليَّة. ولمولد عيسى (ع) المعجز الفريد من بتولٍ لم يمسسها بشر، إذ إنَّ لقب ابن مريم مسنوداً إلى النبي عيسى (ع) كنايةً له[٤]، حيث قال الله تعالى عنه في القرآن المجيد: ﴿**وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[٥]. وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾[٦].

١- **الزمخشري**: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله. كان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كبير الفضل متفنناً في علومٍ شتَّى. ولد بزمخشر من ضواحي خوارزم، وتوفي بقصبة خوارزم ليلة عرفة، وكان معتزلي المذهب. أخذ الأدب عن أبي مُضر محمود بن جرير الضَّبِّي الأصبهاني وأبي الحسن علي ابن المظفر النيسابوري، وسمع من شيخ الإسلام أبي منصور نصر الحارثي، ومن أبي سعد الشَّقَّاني. سافر إلى مكة وجاور بها زماناً، فصار يُقال له: جار الله، لذلك أصبح هذا الاسم علماً عليه. له من منثور الكلام ما يشفُّ عن عبقريَّة وغزارة علم وحسن فهم وإدراك، وذلك نحو قوله: "استمسك بحبل مواخيك ما استمسك بأواخيك، واصحبه ما صحب الحقَّ وأذعن، وحل مع أهله وظعن، فإنْ تنكرت أنحاؤه، ورشح بالباطل إناؤه فتعوض عن صحبته، وإنْ عُوضتَ الشِّسْع، وتصرَّف بحبله ولو أعطيت النسع، فصاحب الصدق أنفع من الترياق النافع، وقرين السوء أضر من السم الناقع". ألَّف الزمخشري تصانيف عديدة في صنوف المعرفة المختلفة، ففي تفسير القرآن الكريم ألَّف كتابه الكشَّاف الذي وصف بأنَّه لم يُصنَّف قبله مثله. وفي تفسير الحديث صنَّف كتاب الفائق، وله في اللغة كتاب أساس البلاغة، أمَّا في النحو؛ فقد صنَّف كُتباً كثيرة منها: المفصل، وقد اعتنى بشرحه خلقٌ كثير، والأنموذج، والمفرد، والمؤلَّف، وشرح أبيات كتاب سيبويه، وله في الأمثال: المستقصي في أمثال العرب. كما أنَّ له كُتباً في علم الفرائض، والأصول، والفقه والأمالي في كُلِّ فنٍّ، وله شعر جميل؛ للمزيد من التفصيل يُراجع؛ الذهبي، محمد بن عُثمان: **سِير أعلام النُبلاء**، ج٣، ص١٥٣.

٢- الزمخشري؛ أبو القاسم محمود بن عمرو أحمد الزمخشري جار الله: **الكشَّاف**، ج١، ص٣٦٢.

٣- يُنظر، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ج١١، ص٦٣.

٤- يُنظر؛ الصابوني، أحمد بن إبراهيم: **صفوة التفاسير**، ج٢، ص٥٢.

٥- سورة المائدة: الآية ٤٦.

٦- سورة البقرة: الآية ٨٧.

ويرد لقب (ابن مريم) مستقلاً بنفسه ككنايةٍ عَلَميَّةٍ على الطريقة الساميَّة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾[2]؛ وهذه الكناية تفضيلٌ وتشريفٌ له.

وقد ذكر القرآن الكريم ثلاث صفات للسيد المسيح (ع) أنفرد بها عن سائر الأنبياء والمرسلين (ع) والأولياء والصالحين؛ فعيسى بن مريم هو مسيح الله، وهو كلمة الله، وهو روح الله، وهذه الصفات والألقاب في تعريف المسيح؛ هي أبلغ وأسمى من كُلِّ تعريف، وهي بحدِّ ذاتها – مهما كان معناها– تحديداً لشخصيَّته يرفعها فوق الجميع، وهي كما فسَّرها المفسَّرونَ تبيَّن عظمة المسيح؛ وهي — أيضاً– في معناها الكامل صورة عن التوراة والإنجيل، حيث اقتبسها القرآن الكريم وصدَّقها وشهِد بها[3]؛ ومن هذه الألقاب:

١– عيسى ابن مريم:

وهو مسيح الله، وفي ذلك صرَّح القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾[4]؛ فالمسيح هو اسم لعيسى بن مريم (ع) وليس لقباً فقط؛ والملائكة تبشَّر بهذا الاسم، وهي تحمله معها من السماء إلى الأرض، والله سبحانه وتعالى بشَّر به السيدة العذراء (ع) بواسطة الملائكة؛ وهو اسمٌ سماوي إلهي أوحى به الله تعالى مباشرة، وعندما يوحي الله اسماً يعلِّق عليه رسالةً خاصَّة؛ فالاسم دليل الشخص، ومهما كان معنى هذا الاسم العجيب؛ فإنَّه يعني أنَّ الله سمَّاه وأرسله رحمةً للعالمين[5].

ولقد أخبر الله تعالى عنه في التوراة، ووصف شخصه ورسالته، ولما جاء القرآن الكريم وشهد للتوراة والإنجيل دل على أنَّ عيسى بن مريم (ع) هو مسيح الله، وهو حامل الرسالة التي تنبأ بها

١– سورة المؤمنون: الآية ٥٠.

٢– سورة الزخرف: الآية ٥٧.

٣– يُنظر، محمد، حاتم جاسم: **مريم (ع) في الفكر الإسلامي والفكر المسيحي**، ص٢١.

٤– سورة آل عمران: الآية ٤٥.

٥– يُنظر، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي: **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٣٥٩.

الأنبياء (ع)، ووصفوها في شخصه. وباعتراف القرآن الكريم لعيسى بن مريم (ع) بهذا الاسم؛ فإنَّه أقرَّ بإتمام الرسالة التي علَّقها كتاب الله على هذا الاسم الجليل[1].

ولو فتَّشنا القرآن كُلَّه لما وجدنا سوى عيسى بن مريم (ع) وحده من بين جميع الأنبياء والمرسلين (ع) قد أنفرد باسم المسيح، وانفراده به ميزة خُصَّ بها سواه. وقد ذهب المفسَّرون في تفسير ها الاسم إلى مذاهب شتَّى، ولكن كُلَّها تنطوي على عظمة شخصيَّة السيد المسيح (ع)، وعلى رسالته التي دلَّ عليها اسمه.

قال البيضاوي (ت ٥٣٧هـ)[2]: "السيد المسيح (ع) لقبه، وهو من الألقاب المشرَّفة كالصدَّيق، وأصله باللغة العبريَّة مشيحاً، ومعناه المبارك. وسُمِّي كذلك؛ لأنَّه مسح بالبركة، ولم يمسح غيره بالبركة أو مسح بما طهَّره من الذنوب، ولم ينلْ غيره مُسحةً طاهرةً مُطهَّرة، أو مسح الأرض ولم يقمْ في موضع، وهل يستطيع غيره ذلك؟ أو مسحه جبرائيل (ع) صوناً له من مسَّ الشيطان، ولم يصنْ أحد غيره بمثل هذه المسحة"[3].

وذكر الرازي (ت ٣١١هـ)[4] بأنَّ السيد المسيح (ع): "اسم مشتق أصله بالعبرية مشيحاً فعربته العرب وغيروا لفظه وعلى هذا القول لا يكون له اشتقاق"[5].

ويرى ابن عباس (ت ٦٨هـ)[6] إنَّما سُمِّي مسيحاً؛ لأنَّه كان يمسح بيده كُلَّ ذي عاهةٍ فيُبرئه من مرضه وكذلك؛ لأنَّه كان يمسح الأرض، أيّ يقطعها في المدة القليلة[1].

١- يُنظر، محمد، حاتم جاسم: **مريم (ع) في الفكر الإسلامي والفكر المسيحي**، ص٢١.

٢- **البيضاوي**: هو القاضي أبو الفتح، عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن البيضاوي الفارسي، ثمَّ البغدادي الحنفي، أخو قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي لأمِّه. قال عنه السمعاني: "شيخٌ صالح متواضع، مُتبحَّر في قضائه الخير، متثبَّت". للمزيد من التفصيل يُنظر؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عُثمان: **سير أعلام النبلاء**، مصدر سابق، ج١٥، ص٢٥.

٣- البيضاوي، أبو الفتح عبد الله بن محمد: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٤، ص١٦٠.

٤- **الرازي**: هو أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا الرازي، من علماء القرن الثالث الهجري، ولد بمدينة الري جنوبي طهران بفارس. وسمي بالرازي نسبة إلى هذه المدينة. ينتمي أبو بكر الرازي إلى القرن الثالث الهجري. تنقَّل في معيشته بين مدينة الري وبغداد؛ ثمَّ استقرَّ به الحال في بغداد في زمن الخليفة العباسي المقتدر بالله جعفر بن المعتضد عضد الدولة؛ متوفَّر على شبكة الأنترنت، الموقع: **www.almrsal.com** ، تاريخ الزيارة: ٢٧/ ٣/ ٢٠١٨.

٥- الرازي، أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا: **التفسير الكبير**، ج٤، ص٢٩٤.

٦- **ابن عباس**: هو أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطَّلب (واسمه شيبة الحمد) بن هاشم (واسمه عمرو) بن عمّ النبي (ص)، ابو العباس عبد الله بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القريشي الهاشمي،

ويرى بعض المفسَّرين أنَّه كان يمسح رأس اليتامى. ومنهم من ذهب بالقول: إنَّه مسح الأوزار والآثام؛ لأنَّه كان ممسوحاً بدهنٍ طاهرٍ مبارك يُمسح به الأنبياء والرُسل (ع)، ولا يُمسح به غيرهم. ومسحه جبرائيل (ع) وقت ولادته ليكون ذلك صوناً له من مسِّ الشيطان؛ لأنَّه خرج من بطن أمه السيدة العذراء (ع) ممسوحاً[٢].

وخلاصة هذه الأقوال تعود إلى أنَّ مسحة السيد المسيح (ع) تعني معنيين: أحدهما؛ أنَّه مُسح من الخطيئة في ولادته. والمعنى الآخر؛ مسحه جبرائيل (ع) وقت ولادته ليكون ذلك صوناً له من مسِّ الشيطان، وفي حياته كُلُّها مُسحَ بما طهَّره من الذنوب بالبركة، وهذه المسحة من بطن أمه السيد العذراء (ع) للرسالة الكاملة، وهي سرُّ شخصيَّته، وسرُّ عظمته[٣].

والنبي داوود (ع) في زبوره يدعوه بألقابٍ مُتعدَّدة، منها: ."الربِّ والملك والكاهن، أو يسميه المسيح، وينشد متنبئاً في شأن مولده"[٤].

وقد نقل الشهرستاني (ت ٥٤٨)[٥] في كتابه الشهير (المِلل والنِحل) أنَّ نظريَّة الكتاب كما يقول بها المسيحيون: "كمال الشخص الإنساني في ثلاثة أشياء: نبوُّة، وإمامة، وملكيَّة. وغيره من الأنبياء (ع) كانوا موصوفين بهذه الخصال الثلاثة، أو ببعضها والسيد المسيح (ع) درجته فوق

حبر الأُمَّة، فقيه العصر، وإمام التفسير؛ ولد بشعبٍ لبني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنوات؛ للمزيد من التفصيل يُنظر، الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج١٣، مصدر سابق، ص٣٣٢.

١- ابن عباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطَّلب: **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، ج٣، ص٣٢٥.

٢ - يُنظر، الطبري، محمد بن جُرير: **جامع البيان**، ج٦، ص٣١٦.

٣- المصدر نفسه، ص٣١٧.

٤ - يُنظر، عبد الفتاح، محمد رامز: **المسيح عيسى بن مريم (ع) في القرآن الكريم**، ص١٣٧.

٥- **الشهرستاني**: هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني. شيخ أهل الكلام والحكمة، وصاحب التصانيف. برع في الفقه على الإمام أحمد الخوافي الشافعي، وقرأ الأصول على أبي نصر بن القشيري، وعلى أبي القاسم الأنصاري. صنَّف كتاب: (نهاية الإقدام)، وكتاب (الملل والنحل). كان كثير المحفوظ، قوي الفهم، مليح الوعظ، قال عنه السمعاني: "كتبت عنه بمرو، وحدَّثني أنَّه ولد سنة سبع وستين وأربعمائة". وقال: غير أنَّه كان متهمَّاً بالميل إلى أهل القلاع والدعوة إليهم، والنصرة لظلاماتهم؛ يُراجع؛ الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، مصدر سابق، ج١٠، ص٦٦.

ذلك؛ لأنَّه الأبن الوحيد، فلا نظير له ولا قياس له إلى غيره من الأنبياء (ع)، وهو الذي غفر زلة آدم (ع)، وهو الذي يحاسب الخلق"[١].

ولذا؛ فمَسحةُ السيد المسيح (ع) التي مسحه الله بها؛ إنَّما هي نبوُّةٌ وإمامةٌ وملكيَّةٌ، والسيد المسيح (ع) هو النبي الأعظم والإمام والكاهن والملك، واختصاصه باسم المسيح لهذه المسميات الثلاث؛ إنَّما هو دليل على كمالها فيه حتَّى عُرف بها وعُرفتْ به.والقرآن الكريم من خلال التوراة والإنجيل؛ يقرُّ لعيسى بن مريم (ع) باختصاصه باسم المسيح بأل التعريف، وهكذا فإنَّ الألقاب النبويَّة للمسيح تظهرُ بأنَّ السيد المسيح (ع) آية للعالمين[٢]، حيث قال عنه القرآن الكريم: ﴿**قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا**﴾[٣]. وبعد ذلك يقول: ﴿**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[٤] مشركاً – في ذلك– الأم في شرف ابنها، فهو آيةٌ بشخصه وآية بكتابه، وآية برسالته، وهذه الصفة تُعدُّ موجزة لكُلِّ الألقاب، وللنبي عيسى (ع) العديد من الألقاب الأخرى، ومنها:

٢– عبد الله:

أي رجل الله، وهي صفةٌ يتَّصف بها أنبياء الله ورُسله (ع)، فهو قال عن نفسه: ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾[٥]. والله يدعوه عبده في قوله تعالى:[٦]. ويجعل القرآن هذه الصفة ميزة رسالته، وحسبه فخراً أنَّه عبدالله[٧]. قال تعالى: ﴿**لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا**﴾[٨].

١– الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد: **الملل والنحل**، ج٥، مصدر سابق، ص١٣.

٢– يُنظر، المصدر نفسه، ج٥، ص١٤.

٣– سورة مريم: الآية ٢١.

٤– سورة الأنبياء: الآية ٩١.

٥– سورة مريم: الآية ٣٠.

٦– سورة الزخرف: الآية ٥٩.

٧– يُنظر، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي: **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، مصدر سابق، ص١١٤.

٨– سورة النساء: الآية ١٧٢.

٣- النبي:

ولد السيد المسيح عيسى بن مريم (ع) نبيّاً بشهادته لما نطق حال ولادته؛ بل إنَّ نبوُّته ترتقي إلى ما قبل الولادة، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ**﴾[١]. وقد أنفرد هذا النبي بخوارق شخصه ورسالته.

٤- الرسول:

لا يجعل القرآن فرقاً كبيراً بين النبي والرسول، إذ قالوا أنَّ الرسول هو النبي الذي اختصَّه الله بشرعٍ جديد مثل: إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ع)، قال تعالى: ﴿**وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾[٢]، وأنَّه رسولٌ لبني إسرائيل؛ فصرَّح القرآن الكريم بذلك.

وتمثَّلتْ رسالته بخوارق لا مثيل لها في تاريخ النبوُّة من قّبيل إبراء الأكمه والأبرص إلى إحياء الموتى بإذن الله: ﴿**وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[٣].

٥- الغلام الزكي:

قال تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا**﴾[٤]. ولد السيد المسيح عيسى بن مريم (ع) من عذراءٍ طاهرة من دون مسٍّ للشيطان، وعاش طاهراً بريئاً من الذنوب لا يصيبه منها كما يصيب سائر بني أدم، ولا يُنسب إليه الإثم على الإطلاق.

ثانياً- الحمل والولادة:

تشتدُّ الأمور صعوبةً على السيدة مريم العذراء (ع)، ويتوسَّعُ عليها التكليف ألإلهي؛ لأنَّ الحكمة الإلهيَّة اقتضتْ أنْ تمرَّ هذه الفتاة بتجربةٍ فريدةٍ من نوعها في التاريخ الإنساني. وهنا سيكون الكلام في فقراتٍ عديدة عن طريقة الحمل والولادة من طريق النفخ، وهي:

١- معنى النفخ:

١- سورة النساء: الآية ١٧١.

٢- سورة آل عمران: الآية ٤٩.

٣- سورة آل عمران: من الآية ٤٩.

٤- سورة مريم: الآية ١٩.

يذكر المفسَّرون أنَّ الحمل حصل عن طريق النفخ، وقد وصف القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿**فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْمِنَ الْقَانِتِينَ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[2]؛ أي إنَّ النفخة كانتْ في رحم السيدة مريم (ع)؛ فحملتْ بعيسى (ع). ولذا؛ نلاحظ في الآيتين الكريمتين الكيفية التي حصل بها الحمل، وهي النفخ، ولا منافاة بينهما.

وقيل إنَّ جبرائيل (ع) نفخ في درعها[3]، ومعنى الدرع هنا؛ أي لباسها؛ فكانتْ تلك النفخة كلقاح الرجل للمرأة، والجميع مخلوقٌ لله تعالى، لذلك فإنَّ كلمة النفخ هي التي خلق الله بها عيسى (ع)، حيث قال تعالى: ﴿**وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ**﴾[4]؛ أي الكلمة التي أرسل بها جبرائيل (ع)؛ فنفخ فيها من روحه، إذ بيَّن الله تعالى هذه الكلمة بقوله: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ منه**﴾[5]. ولذلك قيل إنَّ عيسى روح الله؛ لأنَّه لم يكن له أبٌ؛ وإنَّما هو ناشئٌ عن الكلمة التي قالها الله تعالى كن فيكون[6]. وأمَّا معنى قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ**﴾[7]؛ فقد فُسِّرتْ بالمعاني الآتية:

أ- هو قول الله تعالى[8]، إذ قال: ﴿**إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[9].

ب- هو بشارة الملائكة للسيدة مريم (ع) عند حملها بعيسى (ع)[10].

١- سورة التحريم: الآية ١٢.

٢- سورة الأنبياء: الآية ٩١.

٣- يُنظر، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي: **تفسير القران العظيم**، ج٣، مصدر سابق، ص١١٤؛ والشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن أحمد: **أضواء البيان**، ج٤، ص٢٢٧.

٤- سورة النساء: الآية ١٧١.

٥- سورة آل عمران: الآية ٥٩.

٦- يُنظر، الرازي، أبو بكر محمد بن يحيى بن زَكريا: **التفسير الكبير (أو مفاتيح الغيب)**، ج٨، ص٥.

٧- سورة آل عمران: الآية ٤٥.

٨- يُنظر، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن: **زاد المسير**، ج١، ص٣٨٩.

٩- سورة آل عمران: من الآية ٤٧.

١٠- يُنظر، أحمد بن محمد بن المهدي: **البحر المديد في تفسير القران المجيد**، ج١، ص٣١٩.

ت- إنَّ معنى ﴿**بِكَلِمَةٍ مِنْهُ**﴾؛ هي اسمٌ للنبي عيسى بن مريم (ع)، إذ سُمِّي بذلك؛ لأنَّه كان عن الكلمة: (**كُنْ**)[1].

ث- وذكر الآلوسي (ت ١٨٥٤م)[2]: إنَّ الله سبحانه وتعالى وصف عيسى (ع)؛ بالكلمة لأنَّه ذكره وردَ في الكُتب المقدَّسة السابقة[3].

ج-وذكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)[4] أنَّ معنى قوله تعالى: ﴿**بِكَلِمَةٍ مِنْهُ**﴾ تعني إنَّ عيسى (ع) خُلق بقدرةِ الله من غير أبٍ[5].

٢- أقوال المفسَّرين عن كيفيَّة النفخ:

قال الطبري (ت ٣١٠هـ)[6]: "سُمِّي النفخ روحاً؛ لأنَّها ريح تخرج من الروح"[1]. وذهب ابن كثير[2] إلى أنَّ النفخ تأويله يعني لقاح الأب للأم [3]. إلَّا أنَّ منهم من يعطي معنى آخر للنفخ؛

١- يُنظر؛ أحمد بن محمد بن المهدي: **البحر المديد في تفسير القران المجيد**، ج١، ص٣٨٩.

٢- **الآلوسي**: أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. وهو فقيه ومفسَّر ومحدَّث. ولد في بغداد، وتلقَّى العلوم على شيوخ عصره، وكان شديد الحرص على التعلم ذكياً فطناً، لا يكاد ينسى شيئًا سمعه، حتَّى صار إمام عصره بلا منازع. اشتغل بالتأليف والتدريس في سنٍّ مُبكِّرة، فذاع صيته وكثر تلاميذه، تولى منصب الإفتاء وبقي فيه حتَّى سنة ١٢٦٣هـ. قام بعدَّة زيارات علميَّة إلى الإستانة وغيرها. له عدِّة كُتب قيِّمة، أبرزها تفسيره الكبير: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني الذي استغرق تأليفه خمس عشرة سنة، ويُعدُّ هذا التفسير موسوعة كبيرة جمع فيه الآلوسي خلاصة علم المتقدمين في التفسير، وقد ذكر فيه بعض إشارات الصوفيَّة في التفسير؛ للمزيد من التفصيل؛ متوفر على شبكة الأنترنت، الموقع: **http://www.mawsoah.net**، تاريخ الزيارة: ٩/ ٣/ ٢٠١٨.

٣- يُنظر، الآلوسي، أبو الثناء شهاب الدين بن محمود: **روح المعاني**، ج٣، ص٢١٢.

٤- **البقاعي**: وهو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط - بضم الراء وتخفيف الباء- بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن. مؤرِّخ وأديب، أصله من البِقاع في سورية. سكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق. له مؤلَّفات مُتعدَّدة، ومنها: عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران، وعنوان العنوان، ومُختصر عنوان الزمان، وأسواق الأشواق، وهو الكتاب الذي اختصر به مصارع العُشَّاق، والباحة في علمي الحساب والمساحة، وأخبار الجلَّاد في فتح البلاد، ونُظم الدرر في تناسب الآيات والسور، وهو الكتاب الذي يُعرف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي، وبذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة ورقة. وله ديوان شعر أسماه: (إشعار الواعي بأشعار البقاعي)، و(جواهر البحار في نظم سيرة المختار) أتمَّه في رشيد (من بلاد مصر) في صفر سنة ٨٤٨ هـ، و (الإعلام، بسنِّ الهجرة إلى الشام) رسالة، و (مصرع التصوف)، و(مُختصر في السيرة النبويَّة والثلاثة الخلفاء)، و(القول المفيد في أصول التجويد)، و(سرُّ الروح) اختصره من كتاب (الروح) لابن قيم الجوزية، و(مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)؛ للمزيد من التفصيل يُراجع؛ الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، ج٢، ص٨٥.

٥- يُنظر، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن الحسن: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٤، ص٣٧٩.

٦- **الطبري**: وهو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب. ولد بطبرستان، وبدأ في طلب العلم في السادسة عشرة من عمره، ثمَّ رحل إلى بغداد واستقرَّ فيها، بعد أنْ زار عدَّة بلدان. أثنى العلماء على الطبري كثيرًا، فقالوا: "إنَّه ثقةٌ عالمٌ، أحد أئمَّة

وهو إنَّ الشيء المنفوخ هو روح كاملة؛ أي روح عيسى (ع)[٤]. وبما إنَّ القرآن الكريم أطلق اللفظ ولم يقيده بشيءٍ؛ فلا يمكن الترجيح – إذاً- بين هذه الأقوال، وهو الصواب.

وعلى ما يبدو – لنا- أنَّ قول القرطبي (ت ٥٦٧هـ)[٥] أقربها إلى الصحة؛ لأنَّه يتفق مع قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ**﴾[٦]. ويتفق جميع العلماء والمفسَّرين أنَّ النفخ حصل عن طريق جبرائيل (ع) بأمر من الله تعالى[٧].

٣- موضع النفخ:

وكما اختلفوا في معنى النفخ؛ فهم – أيضاً- اختلفوا في موضع النفخ؛ فمنهم من ذكر أنَّ موضع النفخ كان من إحدى فتحات ملابسها، وكُلُّ فتحةٍ أو خرقةٍ في الملابس تُسمَّى فرجاً[٨].

أهل السُنَّة الكِبار، يُؤخذ بأقواله، ويُرجع إليه لسعة علمه، وسلامة منهجه. ترك عدَّة مؤلَّفات نافعة أبرزها تفسيره الكبير: جامع البيان عن تأويل آيات القرآن المشهور بين الجمهور بتفسير الطبري. وهو أوَّلُ تفسيرٍ كامل وصل إلينا، أفاد منه كُلُّ من جاء بعده، ولهذا عدَّ العلماءُ الطبري أبا التفسير، كما عدَّوه أبا التاريخ؛ لأنَّ له كتاباً كبيرًا في التاريخ لم يؤلَّف مثله، إلَّا أنَّه لم يلتزم فيه بالتوثيق. وسمَّاه تاريخ الأمم والملوك، وله أيضًا: تهذيب الآثار وغيرها. للمزيد من التفصيل يُراجع؛ مجموعة من العلماء والباحثين: الموسوعة العربيَّة العالميَّة، متوفَّرة على شبكة الأنترنت، على الموقع: **http://www.mawsoah.net**، تاريخ الزيارة: ٢٣/ ٣/ ٢٠١٨.

١- الطبري، محمد بن جُرير: **جامع البيان**، ج٦، ص٣٦.

٢- ابن كثير: وهو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثمَّ الدمشقي، صاحب التفسير المشهور والمعروف بتفسير ابن كثير. ولد بالبصرة، ثمَّ رحل إلى دمشق مع أخيه سنة ٧٠٦هـ بعد وفاة أبيه. سمع من علماء دمشق وأخذ عنهم مثل الآمدي وغيره. كان ابن كثير غزير العلم واسع الاطلاع إماماً في التفسير والحديث والتاريخ، ترك مؤلَّفات كثيرة قيمة أبرزها: البداية والنهاية في التاريخ، وكتاب تفسير القرآن العظيم، وهو من أفضل كتب التفسير لما امتاز به من عناية بالمأثور وتجنب للأقوال الباطلة والروايات المنكرة؛ للمزيد من التفصيل يُراجع؛ مجموعة من الباحثين: **الموسوعة العربيَّة العالميَّة**، متوفَّرة على شبكة الأنترنت: **http://www.mawsoah.net**، تاريخ الزيارة: ٢٣/ ٣/ ٢٠١٨.

٣- يُنظر، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: **تفسير القران العظيم**، مصدر سابق، ج١، ص٥٩٠.

٤- يُنظر، القرطبي، أبو بكر يحيى بن سعوف: **الجامع لأحكام القران**، مصدر سابق، ج١١، ص٣٣٨.

٥- القرطبي: الشيخ أبو بكر يحيى بن سعوف بن تمام الازدي القرطبي المقرئ النحوي، ويُلقَّب بصائن الدين. كان ثقة متقناً بارعاً في العربيَّة بصيراً بعلل القرآن الكريم؛ للمزيد من التفصيل يُراجع؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عُثمان: **سير إعلام النبلاء**، مصدر سابق، ج٢٠، ص٥٧٤.

٦- سورة النساء: من الآية ١٧١.

٧- يُنظر، القرطبي، أبو بكر يحيى بن سعوف: **الجامع لأحكام القران**، مصدر سابق، ج١١، ص٣٣٨.

٨- يُنظر، الطبري، محمد بن جُرير: **جامع البيان**، مصدر سابق، ج٢٨، ص١٧٢.

مستدلين في ذلك بتفسير لقوله تعالى: ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْمِنَ الْقَانِتِينَ**﴾[1].

والمراد بالفرج هنا الثياب؛ وبها أربعة فتحات، وهي: الكُمَّان، والأعلى، والأسفل، أي أنَّ المراد من الفرج – بحسب هذا– الرأي ثيابها، وليس فرجها (ع)[2].

ومنهم من ذهب إلى أنَّ المقصود من الفرج؛ هو فرج السَّيِّدة مريم العذراء (ع) نفسه، والقرآن الكريم قد ذكر النفخ في الفرج، على اعتبار أنَّ النفخةَ استقرَّتْ فيه على الرغمِ من أنَّها بدأتْ من إحدى فتحات الثوب[3].

ولذلك نلاحظ أنَّه لا يوجد اختلافٌ جوهريٌ بين الرأيين من ناحية مكان النفخ؛ فكلاهما يفيد أنَّه بدأ من الثياب، وذلك موافق لما صرَّح به القرآن الكريم ؛ لأنَّ الكيفيَّة التي تمَّتْ بها عمليَّة النفخ بعيدة كُلَّ البُعد عن أيِّ غريزةٍ جنسيَّةٍ أو استثارةٍ عاطفيَّةٍ؛ فهي نفخةٌ طاهرةٌ كما أرادها الله تعالى أنْ تكون بهذه الكيفيَّة التي اختارها[4].

٤– حصول الحمل:

بعد أنْ تمَّتْ عمليَّة النفخ من الله تعالى عن طريق جبرائيل (ع)، وحملتْ السيدة مريم (ع) بإذن الله تعالى، وظهرتْ عليها علامات الحمل؛ أصبحتْ في حيرةٍ من أمرها أين تذهب؟ وماذا سيكون مصيرها؟ وكيف ستواجه قومها وهي التي عُرفتْ بالعذراء الطاهرة؟ بالإضافةِ إلى ذلك أنَّها تعلم علم اليقين أنَّ قومها لنْ يصدقوا ما ستقوله لهم[5].

وهنا قرَّرتْ الذهاب بعيداً عنهم حتَّى تختفي عن أنظارهم، ولا يرونها، والقرآن الكريم قد أخبر عن ذلك في قوله تعالى: ﴿**فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا**﴾[6].

١– سورة التحريم: من الآية ١٢.

٢– يُنظر، القرطبي، أبو بكر يحيى بن سعوف: **الجامع لأحكام القران**، مصدر سابق، ج١١، ص٣٣٨.

٣– يُنظر، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: **تفسير القران العظيم**، مصدر سابق، ج٤، ص٣٦٥.

٤– يُنظر، محمد، حاتم جاسم: **مريم (ع) في الفكر الإسلامي والفكر المسيحي**، مرجع سابق، ص١٤٨.

٥– يُنظر، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **تيسر الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج١، ص٢٨٢.

٦– سورة مريم: الآية ٢٢.

وقد اختلف المفسَّرون في مدَّة الحمل؛ إذ ورد عن عكرمة (ت ١٠٥هـ)[١] أنَّها ثمانية أشهر. ورُوي عن ابن عباس (ت ٦٨هـ)[٢] أنَّه لم يكن إلَّا أنْ حملتْ به فوضعتْ. غير أنَّ كلام ابن عباس لابد من التوقُّف عنده؛ لأنَّه معارض باعتزالها عن قومها كي لا يروا عليها علامات وأمارات الحمل، هذا من جانب؛ ومن جانبٍ آخر فإنَّ مظهر القدرة الإلهيَّة والإعجاز الإلهي تكمن في ولادة النبي عيسى (ع) من غير أب[٣].

وعلى ما يبدو – لنا– أنَّ الرأي الراجح؛ هو أنَّها حملتْ به كما تحمل سائر النساء بمدَّةِ تسعة أشهر؛ لأنَّ هذا القول لا غرابة فيه، ولو أنَّها حملتْ بغير هذه الفترة لكان في الأمر غرابةٌ، ولَذَكَرَه القرآن الكريم كما ذكر المعجزة التي حصلتْ لها، وعناية الله بها[٤].

٥– عمرها وقت الحمل:

وكما اختلف المفسَّرون في مدَّة الحمل؛ فأنَّهم اختلفوا – أيضاً– في تحديد عمر السَّيِّدة مريم العذراء (ع) وقت حملها، إذ تبلورتْ هذه الاختلافات على أربعة أقوال، وهي:

أ– منهم من ذكر أنَّها ولدتْ السيد المسيح (ع) وكان عمرها خمسة عشرة سنةً.

ب– وذهب قسمٌ آخرٌ إلى أنَّ السيدة العذراء (ع) قد ولدتْ السيد المسيح (ع)، وهي تبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة[٥].

ت– ويرى بعضهم أنَّها ولدتْ، وهي بنت ثلاثة عشرة سنةً[٦].

---

١ – **عكرمة:** وهو الحافظ المفسِّر والمحدِّث أبو عبد الله القريشي، بربري الأصل كان مولىً لحصين بن أبي الحرِّ العنبري؛ فوهبه لابن عباس. حدَّث عكرمة عن علي بن أبي طالب، وأبي سعيدٍ الخدري، وحدَّث عنه إبراهيم النخعي، والشعبي، وماتا قبله. للمزيد من التفصيل يُراجع؛ وقال عكرمة طلبت العلم أربعين سنة؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عُثمان: **سير أعلام النبلاء**، مصدر سابق، ج٥، ص١٣– ١٤.

٢ – **ابن عباس:** وهو عبد الله بن العباس بن عبد المطَّلب (واسمه بشيبة) بن هاشم (عمرو) بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القريشي الهاشمي. ولد بشِعبٍ لبني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنوات، وابن عمِّ النبي محمد (ص)؛ ويُلقَّب بحبر الأُمَّة وفقيه العصر وإمام التفسير؛ للمزيد من التفصيل يُراجع؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عُثمان: **سير أعلام النبلاء**، مصدر سابق، ج١٣، ص٣٣٢.

٣– يُنظر؛ حافظ، عماد زهير: **القصص القرآني بين الأباء والأبناء**، ص٤٤٢.

٤– يُنظر؛ القرطبي، أبو بكر يحيى بن سعوف: **الجامع لأحكام القران**، مصدر سابق، ج١١، ص٩٩.

٥– يُنظر؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: **تفسير القران العظيم**، مصدر سابق، ج٣، ص١١٧.

٦– يُنظر؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحُسين بن علي: **مروجُ الذهب**، ج١، ص٦٣.

ث- ويذهب آخرون إلى أنَّها ولدتْ، وهي تبلغ من العمر سبعة عشرة سنةً[١].

٦- الولادة:

وبعد أنْ تمَّتْ مدَّة الحمل، وجاء الوقت الموعود للولادة، وجاءها ألم المخاض والطلق، وطلائع الولادة؛ اضطرت من شدَّة الألم وقوته إلى التمسَّك بجذعِ النخلة في المكان الذي اعتزلتْ فيه، وهو بيت لحم[٢]، إذ قال تعالى: ﴿**فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ[٣] إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ قالَتْ يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**﴾[٤].

وفي هذه الأثناء خطر في بالها أنَّهم سيتهمونها عندما يرون مولدها بيدها، وسيقولون عنها الإشاعات، وهي العابدة الطاهرة؛ لذلك — فقد- ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: [٥]؛ فهي تفضَّل الموت على مواجهة قومها وكلامهم السيئ عليها، وتتمنَّى أنَّها لم تُخلق أصلاً، ولم تكن شيئاً يُذكر (**نسيًّا**)؛ أي شيئاً تافهاً لا قيمة له ولا يُعتدُّ به أصلا (**منسيًّا**) لم يخطر على بال أحد من الناس[٦]. وفي تلك اللحظات العصيبة القاسية على السيدة مريم (ع) يطمئنها الله على لسان وليدها، ويريها معجزته حتى تطمئن من أوَّل لحظة ولادته، إذ كان كلامه تهدئة واطمئناناً لها[٧]،حيث قال تعالى: ﴿**فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾[٨].

إنَّ قدرة الله تعالى تفوق كُلَّ شيءٍ؛ فهو القادر على جعل الحجر ينطق والشجر ينطق، وقادرٌ على أنْ يجعل المولد الصغير ينطق، فيناديها ابنها من تحتها - الذي هو مصدر خوفها وقلقها- ليطمئنها بأنَّ الله تعالى جعل تحت قدميها نهراً يجري لكي تشرب منه، وتروي عطشها،

١- يُنظر؛ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق: **تاريخ اليعقوبي**، ج١، ص٩٧.

٢- يُنظر؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: **تفسير القران العظيم**، ج٢، ص١١٥.

٣- المخاض: هو الحركة الشديدة، ومنه مخضتْ المرأة إذا تحرك الولد في بطنها؛ للمزيد من التفصيل يُراجع؛ أبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٥، ص٢٦١.

٤- سورة مريم: من الآية ٢٣.

٥- يُنظر؛ الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن أحمد: **أضواء البيان**، ج٤، ص٤٢٠.

٦- المصدر نفسه، ج٢، ٢٤٢.

٧- المصدر نفسه، ص٢٤٢.

٨- سورة مريم: الآيتان ٢٤- ٢٥.

وأمرها أيضاً أنْ تحرك جذع النخلة اليابسة يتساقط عليها الرطب المثمر لتأكل منه. وقيل: إنَّ الوقت كان شتاءً ولم يكن وقت ثمر النخيل، وهذه أيضاً معجزةٌ أخرى، وقيل أيضا: إنَّ النهر كان يابساً لا ماءَ فيه؛ فالنهر جرى ماؤه والنخل أثمر، وكُلُّ ذلك من قدرة الله تعالى[1]؛ وذلك بأنَّ امتنَّ عليها بالطعام والشراب، وهذا الفضل يؤتيه الله لمنْ يشاء من عباده الصالحين[2].

والذي يمكن قوله بأنَّ النخلة لم تكن يابسة؛ بل كانتْ مُخضَّرة؛ وإنَّما لم يكن موعد نضوج ثمرها، وإلَّا كيف يطلق القرآن الكريم عليها بقوله تعالى: ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾[3]؟ وبناءً على ذلك؛ فإذا كانت يابسة كيف يطلق عليها نخلة؟ وكذلك النهر لم يجر ماؤه؛ وإنَّما جرى بقدرة الله تعالى إكراماً للسيدة مريم العذراء (ع)[4]، وإلَّا كيف يُطلق عليه نهر وهو لا أثر ولا وجود له؟ وعلى الرغم من ثبوت جذع النخلة في الأرض، إذ لا يستطيع الرجال مع قوتهم تحريكه فكيف للسيدة مريم (ع) المتعبة من ألم المخاض والولادة أنْ تهزَّه؟

وهنا يصوِّر الله سبحانه وتعالى معجزة أخرى من معجزاته، ونعمة أخرى من نعمه على هذه الصدِّيقة الطاهرة (ع)، وفي ذلك – أيضاً– عبرة وفائدة في غاية الأهميَّة؛ وهي أنَّ الله تعالى يريد أنْ يأخذ الإنسان بالأسباب؛ أيّ مهما كان ضعيفاً؛ فعليه أنْ يبذل أقصى جهد لتحقيق ما يطمح إليه. وهناك خلاف بين المفسَّرين في اللفظ الوارد في قوله تعالى : ﴿**فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**﴾[5]. وفي هذا الصدد يُثارُ سؤالٌ مهم، مفاده: هل أنَّ المنادي جبرائيل (ع)؟ أم أنَّه السيد المسيح عيسى بن مريم (ع)؟

وللجواب على هذا التساؤل؛ فإنَّ ما ذهب إليه جمهور المفسَّرين في النداء؛ كان من النبي عيسى (ع)، إذ ذكر الفخر الرازي عدة توجيهات، منها:

١– ففي قوله تعالى: ﴿**فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا**﴾؛ فالقراءة التي بكسر الميم؛ لا تقتضي أنْ يكون المنادي جبرائيل (ع). وأمَّا بفتح الميم، وهي القراءة المتواترة، إذ إنَّ هذا القول لا يمكن أنْ يكون

١– أبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٥، ص٢٦٥.

٢– المصدر نفسه، ص٢٦٥.

٣– سورة مريم: من الآية ٢٥.

٤– يُنظر، الخازن، عبد السلام محمد علي شاهين: **لُباب التأويل في معاني التنزيل**، ج٤، ص٢٤٢.

٥– سورة مريم: من الآية ٢٤.

إلَّا إذا عُلم قبله أنَّ تحتها أحد، والذي كان حاصلاً هو إنَّ السيد المسيح (ع) كان تحتها، فوجب حمل اللفظ عليه[1].

٢- إنَّ موضوع العورة، والنَّظر إليه؛ لا يليق بالملائكة؛ وقوله: ﴿**فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا**﴾ فعل، ولابد من أنْ يكون الفاعل قد تقدَّم ذكره، وأنَّ ذكر النبي عيسى (ع) هنا أولى؛ لأنَّ في قوله: ﴿**فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا**﴾ ضمير؛ والضمير هنا عائد على عيسى (ع)[2].

٣- ما قاله الإمام الحسن بن علي: **"لو أنَّ عيسى (ع)لم يكلمها؛ لم تكن لتعلم أنَّه ينطق، ولم تكن بعد ذلك تشير إليه بالكلام؛ ولذلك فإنَّ الله تعالى أنطقه في لحظة ولادته لكي يطمئنها ويزيل الوحشة عنها لكي تشاهد في أوَّل الأمر ما بشَّرها الله تعالى به"**[3].

١- يُنظر، الرازي، الرازي، أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا: **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ج٢١، ص٢٠٤.

٢- المصدر نفسه، ص٢٠٤.

٣- المصدر نفسه، ص٢٠٤.

المبحث الثاني

معجزات السيد المسيح (ع) في القرآن والإنجيل

قبل التحدَّث عن معجزات النبي عيسى (ع) المذكورة في القرآن الكريم والأناجيل؛ سوف نبيَّن ما المقصود بالمعجزة، وعلى يد من تأتي؟

المعجزة؛ وهي كُلُّ أمرٍ خارقٍ للعادة ولنواميس الطبيعة يأتي بها مدعي النبوُّة لبيان صدق دعواه، ويكون القصد منها تحدي البشر وإعجازهم ووسيلةً لإقناعهم حتَّى يؤمنوا بالله سبحانه وتعالى. وكُلُّ معجزةٍ يأتي بها الأنبياء (ع) تكون مناسبة لما أشتهر في العصر الذي يعيش فيه.

فنبي الله موسى (ع) كان السحر هو الأكثر انتشاراً في عصره؛ فكانتْ معجزته خروج يده بيضاء من غير سوء، وكذلك العصا التي تلقف جميع الثعابين الوهميَّة.

كما أنَّ نبينا الأكرم محمد بن عبد الله (ص) اشتهر في عصره البلاغة والفصاحة؛ ولذلك كانتْ معجزته القرآن الكريم الذي تحدى به قومه والناس أجمعين، ولم يقدروا على مجاراته والإتيان بمثله فأعجزهم أيَّما اعجاز، وأفحمهم بالحُجَّة.

والنبي عيسى (ع) عندما كُلِّف بالدعوة إلى توحيد الله (عزَّ وجلَّ) أيَّده الله سبحانه وتعالى ببعض المعجزات، حتَّى يؤمن بنو إسرائيل بعقيدته. ولأنَّ عصر نبي الله عيسى (ع) اشتهر بالطب؛ فقد وصل به الطب إلى أعلى الدرجات؛ فجاءتْ معجزاته تدور في هذه الدائرة. وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز المعجزات التي أجراها على يد عيسى (ع) ليؤكِّد التأييد الإلهي له، وهذه المعجزات كما وردت في القرآن الكريم هي:

١- قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿**وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾[1].

١- سورة آل عمران: الآيات ٤٩- ٥١.

٢- وقال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾[1].

فهذه الآيات قد بيَّنتْ المعجزات التي جاء بها نبي الله عيسى بن مريم (ع)، وهي كما يلي:

أ- يخلق من الطين كهيئة الطير، ثمَّ ينفخ فيه فيصبح طيراً بإذن الله (عزَّ وجلَّ).

ب- إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله (عزَّ وجلَّ).

ت- إحياء الموتى بإذن الله (عزَّ وجلَّ).

ث- إخباره بني إسرائيل بما يأكلون، وما يدَّخرون في بيوتهم.

ج- إنَّ الله (عزَّ وجلَّ) قد أيَّده بروح القدس، وأنطقه في المهد، وهذه المعجزة تُعتبر أُولى معجزاته البيِّنات.

وقد ذكرتْ الأناجيل العديد من المعجزات التي جرتْ على يد السيد المسيح (ع)، وهذه المعجزات بعضها ذُكرتْ في القرآن الكريم، والبعض الآخر لم يرد ذكره، ومنها:

١-تحويل الماء خمر:

فقد جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح الثاني عن هذه المعجزة: "**ولمَّا فرغتْ الخمرَ، قالتْ أم يسوع له: ليس لهم خمر. قال لها يسوع: ما لي ولك يا امرأة؟ لم تأتي ساعتي بعد، قالتْ أمه للخدَّام: مهما قال لكم فأفعلوه**". وكانتْ ستة أجران من حجارة موضوعة هناك. وحسب تطهَّر اليهود، يسع كُلُّ واحدٍ مطرين أو ثلاثة. قال لهم يسوع: "**أملأوا الأجران ماءً؛ فملأوها إلى فوق. ثمَّ قال لهم: "أسقوا الآن وقدموا إلى رئيس المُتَّكأ فقدَّموا، فلما ذاق رئيس المُتَّكأ الماء المتحوَّل خمراً؛ ولم يكن يعلم من أين هي، لكنَّ الخدَّام الذين كانوا قد استقوا**

١- سورة المائدة: الآية ١١٠.

الماء علموا، دعا رئيس المُتَّكأ العريس، وقال له: كُلُّ إنسانٍ إنَّما يضع الخمر الجيدة أوَّلاً، ومتى سكروا فحينئذٍ الدون. أمَّا أنتَ فقد أبقيتَ الخمرة الجيدة إلى الآن"[1].

٢-شفاء المرضى:

فقد جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع: **"فجاء يسوع أيضاً إلى قانا الجليل، حيث وضع الماء خمراً، وكان خادمٌ للملك أبنه مريض في كفر ناحوم. هذا إذ سمع يسوع قد جاء من اليهوديَّة إلى الجليل، أنطلق إليه وسأله أنْ ينزل ويشفي أبنه لأنَّه كان مشرفاً على الموت؛ فقال له يسوع ألا تؤمنون إنْ لم تروا آيات وعجائب؟ قال له خادم الملك: يا سيد، أنزل قبل أنْ يموت أبني. قال له يسوع: أذهب أبنك حي. فآمن الرجل بالكلمة التي قالها له يسوع، وذهب. وفيما هو نازل أستقبله عبيده وأخبروه قائلين: إنَّ أبنك حي. فأستخبرهم عن الساعة التي فيها أخذ يتعافى، فقالوا له: أمس في الساعة السابعة تركته الحمى، ففهم الأب أنَّه في تلك الساعة التي قال له فيها يسوع: إنَّ أبنك حي؛ فآمن هو وبيته كُلَّه"**[2].

٣- تحريك الماء:

جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح الخامس: "وبعد هذا كان عيد لليهود فصعد يسوع إلى أورشليم. وفي أورشليم عند باب الضأن بركة يقال لها بالعبرانية (بيت حسدا) لها خمسة أروقة. في هذه كان مضطجعاً جمهور كثير من مرضى وعمي وعرج وعسم، يتوقَّعون تحريك الماء؛ لأنَّ ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويحرك الماء؛ فمن نزل أوَّلاً بعد تحريك الماء كان يُبرأ من أي مرض اعتراه. وكان هناك إنسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة؛ هذا رآه يسوع مضطجعاً؛ وعلم أنَّ له زماناً كثيراً فقال له: (أتريدُ أنْ تبرأ ؟) أجابه المريض يا سيد: ليس لي إنسان يلقيني في البركة متى تحرك الماء. بل بينما أنا آتٍ ينزل قدامي آخر؛ قال له يسوع: (قم أحمل سريرك وامشْ)؛ فحالا بريء الإنسان وحمل سريره ومشى"[3].

١- إنجيل يوحنا، الإصحاح الثاني، الفقرات: (٤- ١١)، ص٤٧.

٢- إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع، الفقرات: (٤٦- ٥٣)، ص٨١.

٣- إنجيل يوحنا، الإصحاح الخامس، الفقرات: (١- ٩)، ص١٠٢- ١٠٣.

٤-إشباع الجموع:

جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح السادس: "**فصعد يسوع إلى جبل وجلس هناك مع تلاميذه وكان الفصح عيد اليهود قريباً؛ فرفع يسوع عينيه ونظر أنَّ جمعا كثيراً مقبل إليه، فقال لفيلبس: من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء؟ وإنَّما قال هذا ليمتحنه؛ لأنَّه هو علم ما هو مزمع أنْ يفعل؛ فأجابه فيلبس: لا يكفيهم خبز بمئتي دينار ليأخذ كُلَّ واحد منهم شيئا يسيراً. قال له واحد من تلاميذه، وهو أندراوس أخو سمعان بطرس: هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان، ولكن ما هذا لمثل هؤلاء، فقال يسوع: اجعلوا الناس يتَّكئون. وكان في المكان عشب كثير، فأتَّكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف. وأخذ يسوع الأرغفة وشكر، ووزع على التلاميذ، والتلاميذ أعطوا المتَّكئين. وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا؛ فلمَّا شبعوا قال لتلاميذه: أجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيء. فجمعوا وملأوا اثنتي عشرة قُفَّة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير التي فضلتْ عن الآكلين؛ فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: إنَّ هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم**"[1].

١- إنجيل يوحنا، الإصحاح السادس، الفقرات: (١- ١٤)، ص١٢٥- ١٢٦.

المبحث الثالث

بشارة السيد المسيح (ع) بالرسالة المحمديَّة وعقيدة المسلمين به

أوَّلاً– البُشارة

إنَّ نبوُّة نبينا الأكرم محمد بن عبد الله (ص) ثابتة في جميع الأديان السماوية، وفي كُلِّ كتابٍ أنزله الله سبحانه وتعالى؛ فجميع الأنبياء والمرسلين (ع) قد بشَّروا بمجيء النبي الخاتم للنبيين، وبرسالته الخاتمة لجميع الرسالات[1].

لقد صرَّح القرآن الكريم في جملة من آياته بأنَّ نبي الله عيسى (ع) قد بشَّر برسالة النبي محمد (ص)، إذ قال الله تعالى في ذلك: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾[2].

في الآية أعلاه دلالة واضحة على إنَّ السيد المسيح عيسى (ع) أخبر قومه وبشَّرهم بمجيء نبي من بعده اسمه أحمد؛ والمقصود به النبي محمد (ص)، إذ أخبرهم برسالته، وأحمد له معنيين: الأوَّل: مبالغة من الفاعل، أي أنَّه أكثر حمداً لله سبحانه وتعالى من غيره. أمَّا الثاني: إنَّ أحمد صيغة مبالغة من مفعول أي: يحمد بما اتَّصف من الأخلاق والمحاسن أكثر ممَّا يحمد غيره[3].

وفي هذه الآية لخَّص نبي الله عيسى (ع) دعوته؛ فأشار إلى أنَّه لا شأن له إلَّا أنَّه حامل رسالة من الله سبحانه وتعالى إليهم؛ فبيَّن مضمون رسالته: إنَّه أُرسل إليهم حتَّى يبلِّغ في رسالته، وأنَّها لا تغاير دين التوراة، ولا تناقض شريعة موسى النبي (ع)؛ بل تصدِّقها، ولم تنسخ أحكامها إلَّا الشيء اليسير. والنسخ هو بيان انتهاء أمد الحكم، وليس إبطاله؛ ولذلك فإنَّ السيد المسيح (ع) قد جمع بين تصديق التوراة، وبين نسخ بعض أحكامها، وقد وصف القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾[4].

١– يُنظر، تورميدا، إنسلم: **تُحفة الأريب في الردِّ على أهل الصليب**، ص١٤٠.

٢– سورة الصف: الآية ٦.

٣ – يُنظر، الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن: **مجمع البيان في تفسير القرآن**، ج٩، ص٤٦٣.

٤ – سورة آل عمران : الآية ٥٠ .

ولذا؛ نجد أنَّ الشطر الثاني من مضمون رسالة السيد المسيح (ع) أنَّه جاء مبشِّراً برسولٍ من بعده أسمه أحمد، ومن المعلوم إنَّ البُشرى هي الخبر السَّار الذي يسرُّ المبشَّر به ويفرحه. ولا تكون البُشرى إلَّا بشيء من الخير يوافيه ويعود إليه، والخير الذي كان يترقَّبه نبي الله عيسى (ع) من بعثة النبي محمد (ص)؛ هو انفتاح باب الرحمة الإلهيَّة على الناس الذي فيه سعادة دنياهم وآخرتهم؛ لِما في هذه البعثة والدعوة من عقيدةٍ حقَّة، أو العمل الصالح أو كليهما.

والبُشرى بالنبي بعد مجيء نبي وبدعوةٍ جديدة لا يكون إلَّا بعد حلول دعوى سابقة واستقرارها، والدعوة الإلهيَّة واحدة لا تنقضي بمرور الدهور والازمنة؛ ولكنَّ هذه البُشرى تبيَّن إنَّ الدعوى الجديدة تكون أرقى وأكمل فيما تشتمل عليه من العقائد الحقَّة، والشرائع المقومة لأعمال المجتمع حتَّى تتحصَّل بها سعادة الإنسان في دنياه وعقباه.

وبهذا يتبيَّن أنَّ معنى قول النبي عيسى (ع): ﴿**وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ**﴾ يفيد بأنْ ما أتى به النبي محمد (ص) من الله هو أرقى وأسمى وأكمل ممَّا تضمنته التوراة؛ وبعث به عيسى (ع)؛ وإنَّ النبي عيسى (ع) هو الرابط بين الدعوتين. فهو جاء مصدقاً بشريعة موسى (ع)، وأضاف عليها أنَّه أحلَّ لأتباعه بعض الذي حُرِّم عليهم في زمن موسى (ع)، وهذه الشريعة سيأتي من بعده نبيٌّ ليكملها، وهو النبي محمد (ص)[1].

إنَّ هذه البُشرى تُعتبر في الوقت نفسه من معجزات النبي عيسى (ع) عند ظهور النبي محمد (ص)؛ لأنَّ ظهوره تصديق لهذه البُشرى، فتبشيره بما سيحصل في المستقبل معجزةٌ أيضاً، وكذلك تُعتبر هذه البشرى أمراً لأمَّته أنْ يؤمنوا به عند مجيئه.

وكذلك أشار الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[2]، إنَّ النبي محمد (ص) مذكوراً في التوراة والإنجيل. وكذلك صرَّح بأنَّ صفته مذكورة في كتبهم، وفي ذلك قال تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا**

١- يُنظر، الطباطبائي، محمد حسين: **الميزان في تفسير القرآن**، ج١٩، ص٢٢- ٢٥٣.

٢- سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

يَبْتَغُونَ فَضْلا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

وهذه البشارة موجودة في الأناجيل، وسنذكر بعض النصوص منها التي صرَّحتْ بمجيء النبي محمد (ص)، فقد جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح السادس عشر: **"لكني أقولُ الحقَّ: إنَّه خير لكم أنْ أنطلقَ، لأنَّه إنْ لم أنطقْ لا يأتيكم المعزي، ولكنَّ إنْ ذهبتَ أرسله إليكم، ومتى جاء المعزي، روحُ الحقِّ فهو يرشدكم إلى جميع الحقِّ، لأنَّه لا يتكلم من نفسه؛ بل كُلُّ ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمورٍ آتية، ذلك يمجَّدني؛ لأنَّه يأخذ ممَّا لي ويخبركم"**[2].

والمقصود بالمعزي؛ هو رسولٌ يرسله الله للناس تعزيةً لهم. والمعزي الآخر هو الرسول الذي تمكث رسالته مع الناس إلى الأبد[3].

وجاء في إنجيل برنابا الفصل الرابع والأربعون: **"لذلك أقولُ لكم إنَّ رسول الله بهاء يسر كُلُّ ما صنع الله تقريباً؛ لأنَّه مزدان بروح الفهم والمشورة، روح الحكمة والقوَّة، روح الخوف والمحبَّة، روح التبصَّر والاعتدال مزدان المحبَّة والرحمة، وروح العدل والتقوى روح اللطف والصبر التي أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطي لسائر خلقه، ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم، صدقوني إنَّي رأيته وقدَّمتُ له الاحترام كما رآه كُلُّ نبيٍ، لأنَّ الله يعطيهم روحه نبوُّة، ولما رأيته امتلأتْ عزاءاً قائلاً: يا محمد ليكنْ اللهُ معكَ وليجعلني أهلاً أنْ أحلَّ سير حذائكَ؛ لأنَّي إذا نلتَ هذا صرتَ نبيَّاً عظيماً وقدوس الله"**[4].

ونتيجةً لهذه البشارة؛ فقد آمن قسماً من بني إسرائيل بالرسول الموعود، ولكن الأغلبيَّة بقوا وأصروا على عنادهم، وكان لهم موقفٌ عدائي متشدد تجاهه، ممَّا جعلهم ينكرون معاجزه وبراهينه وأدلته الواضحة. والعجيب إنَّ بني إسرائيل كانوا قد شخَّصوا الرسول محمد (ص) قبل مشركي

١- سورة الفتح: من الآية ٢٩.

٢- إنجيل يوحنا، الإصحاح السادس عشر، الفقرات: (١٢- ١٤)، ص٣٣٠.

٣- يُنظر، درويش، مصطفى عبد اللطيف: **القرآن والنصرانيَّة**، ص٣٤.

٤- إنجيل برنابا، الفصل الرابع والأربعون: ص٥٢.

العرب، وتركوا أوطانهم وأهلهم شوقاً للقائه، والإيمان به، حيث إنَّهم استقرَّوا في المدينة مترقبين ظهوره حتَّى يستجيبوا لدعوته[1].

ثانياً– عقيدة المسلمين في السيد المسيح عيسى بن مريم (ع)

قال الذين كفروا من اليهود بأنَّ عيسى (ع) هو ابن يوسف النجَّار، وإنَّ ما تقوله مريم وتزعمه إنَّما هو تغطية لفعلتها المنكرة. أمَّا الذين افتتنوا به من اليهود، فقد قال بعضهم: إنَّه هو (الله)، ومنهم من قال: إنَّه (أحد ثلاثة)؛ أي إله من ثلاثة. ومنهم من قال: إنَّه ابن الله.

ولكنَّ المسلمين ووفقاً لِما جاء في القرآن الكريم؛ نزَّهوا السيد المسيح (ع) عن كُلِّ ما قِيل فيه، فقالوا: إنَّه رسولٌ من الله خلقه بقدرته وعنايته، ولكن شخصيته (ع) حيرتْ الناس جميعاً؛ لأنَّه انفرد بظاهرة خاصة؛ ألا وهي مولده من غير أب[2].

ولد السيد المسيح بن مريم (ع) كما ولد بقية البشر، حيث حملته أمه في رحمها حتَّى بإذن الله سبحانه وتعالى له بالولادة والخروج إلى الوجود، قال تعالى: ﴿**فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**﴾[3]. فلم يذكر القرآن الكريم وجود رجل إلى جانب مريم (ع) عندما اعتزلتْ أهلها، وعند حملها، وعند ولادتها. ولم يكنْ هنالك داعٍ لوجوده؛ لأنَّ ميلاد السيد المسيح (ع)، وحمل السيدة مريم (ع) به معجزة، والمعجزة لا تحتاج لشاهدٍ عليها.

ويكفي أنَّ السيد المسيح (ع) أنَّه نطق وهو في المهد، وبرَّأ والدته من جميع الاتهامات التي كانتْ مُوجَّهة لها من قِبل الكهنة وكِبار رجال الدين في ذلك الوقت، ونُطق الصغير في المهد من أهم الشواهد على إنَّ ميلاد المسيح كان معجزة[4]، قال الله تعالى: ﴿**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**

١– يُنظر، الشيرازي، ناصر مكارم: **الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل**، ج١٨، ص٢٨٩.

٢– يُنظر، شلبي، محمود: **حياة المسيح (ع)**، ص٥٨.

٣– سورة مريم: الآيات ٢٤– ٣٣.

٤– يُنظر، الباش، حسن: **العقيدة النصرانيَّة بينَ القرآن والأناجيل**، ج١، ص٦٩.

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[1].

والواضح من النصِّ القرآني أنَّ السيدة مريم (ع) عندما ولدتْ السيد المسيح (ع)؛ أُمرتْ من قِبل الوحي ألَّا تتكلم بذلك عندما تساءل القوم عن الذي بيدها، ولا تنطق بكلمة، وقد صرَّح القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى: ﴿**فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا**﴾[2]. ولذلك أشارتْ إلى الطفل الذي بيدها، وأومأتْ لهم بأنْ يوجَّهوا السؤال له، وهذا الأمر أثار دهشة الكهنة وكُلَّ الحضور؛ فكان جوابهم كيف نكلم من كان في المهد صبياً؟ وهذا الأمر يثير الدهشة حقَّاً؛ لأنَّه لم يقعْ أنْ تكلم أحد وهو مازال ابن يومٍ واحد.

وعند ذلك؛ تكلَّم السيد المسيح (ع)؛ فكان مصداقاً لما قالته السيدة مريم (ع)، وإنَّها بريئة ممَّا اتُّهمتْ به، وأوَّل كلمة نطقها السيد المسيح (ع) قال إنِّي عبد الله: أي إنَّه برَّء نفسه ممَّا أتُّهم به من أنَّه إله أو ابن الله؛ فقال: إنِّي عبد الله، أي بوحيٍ من الله، ومن هنا بدأتْ مسيرته كنبيٍ، وعبدٍ لله سبحانه وتعالى[3].

إنَّ النصَّ القرآني الذي جاء على لسان النبي عيسى بن مريم (ع) في الآيات السالفة الذكر التي اختصتْ به؛ يبيِّن أنَّه:

١- عبد الله، وبهذا نزَّه نفسه عن كونه إله، أو ابن الله.

٢- إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل عليه كتاباً وجعله نبيَّاً.

٣- وإنَّ السيد المسيح (ع) مُبارَكٌ؛ أي إنَّ الشيطان لا يقترب منه أينما كان.

٤- إنَّ السيد المسيح (ع) مأمورٌ بالصلاة والزكاة ما دام حيَّاً.

٥- إنَّ السيد المسيح (ع) بارٌّ بوالدته، ولم يكن جبَّاراً شقيَّاً.

١- سورة مريم: الآيات ٢٧- ٣٠.

٢- سورة مريم: من الآية ٢٦.

٣- يُنظر، الباش، حسن: **العقيدة النصرانيَّة بينَ القرآن والأناجيل**، ج١، مرجع سابق، ص٧١.

٦- إنَّ السيد المسيح عيسى بن مريم (ع) ولد ثمَّ يموت، ثم يُبعث حيَّاً؛ فهو بشرٌ وليس كما يزعمون إنَّه إله. ومن خلال ذلك بيَّن للناس وجود حياة أخرى بعد الموت، وهذه الصفات هي الصفات التي اتَّصف بها أنبياء الله عزَّ وجلَّ؛ وهي صفاتٌ بشريَّةٌ فيها الولادة والموت والبعث للحساب بعد الموت.

ولأنَّ القرآن الكريم هو خاتم الكتب السماويَّة؛ وقضية السيد المسيح (ع) هي أكبر القضايا التي تثير عقول البشر؛ كان مقتضى الحكمة الإلهيَّة أنْ يبيَّن الله سبحانه وتعالى للناس الحقَّ فيما يتعلَّق بالسيد لمسيح (ع)؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾[١]، أي إنَّ قصة عيسى بن مريم (ع) الغريبة والخارقة للعادة؛ وهي وجوده بلا أبٍ مشابهة لقصة آدم (ع)؛ بل إنَّ قصة آدم (ع) أغرب من قصته، فهو خُلق بلا أبٍ أو أمٍ؛ بل خلقه الله سبحانه وتعالى من ترابٍ، ثمَّ قال له (كنْ)؛ فصار بشراً حيَّاً (فيكون)، أي أصبح إنساناً ذا حسٍّ وحركةٍ إراديَّةٍ وفهمٍ وإدراك[٢].

ومن خلال ما تقدَّم؛ تتبيَّن عقيدة المسلمين في السيد المسيح (ع) ودينه، إذ تتلخَّص في إنَّهم يعتقدون أنَّه هو روح الله وكلمته ورسوله، قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً**﴾[٣].

ولذا؛ فقد أرسله الله إلى بني إسرائيل، وقد جاء مصدقاً لما بين يديه من التوراة، أي أنَّه جاء مكمل لشريعة موسى (ع)، ويحلُّ لبني إسرائيل بعض الذي حُرم عليهم، وجاءهم من الدين ما فيه هدى لهم ورشاد في شؤون دنياهم وآخراهم، ولم يطالبهم بتعطيل أيَّ قوَّةٍ من قواهم التي منحها الله سبحانه وتعالى لهم؛ بل كانتْ مطالبته لهم أنْ يشكروه على هذه النعم التي أنعمها عليهم، ولا يتحقَّق شكر هذه النعم إلَّا عند استعمالها في موضعها الصحيح، وفيما يرضى الله عزَّ وجلَّ. والعقل أعظم هذه القوى؛ بل هو قوَّة القوى الإنسانيَّة وعمادها، وهو أحبُّ خلق الله سبحانه وتعالى إليه كما ورد عن الإمام الصادق (ع): "**إنَّ الله سبحانه وتعالى عندما خلق العقل**

١- سورة آل عمران : الآية ٥٩ .

٢- يُنظر، شلبي، محمود: **حياة المسيح (ع)**، ص٥٨.

٣- سورة النساء: من الآية ١٧١.

استنطقه، فقال له أقبل فأقبل، ثمَّ قال له أدبر فأدبر؛ فقال عزَّ وجلَّ: وعزَّتي وجلالي إنَّي ما خلقتُ خلقاً أحبُّ إليَّ منكَ، ولا أكملتكَ إلَّا فيمن أُحبُّ، إلَّا أنَّي إياكَ أمر وإياكَ أنهى، وفيكَ أُثيبُ، وفيكَ أُعاقب"[1].

وبناءً على ما تقدَّم؛ فالكون جميعه صحيفة العقل التي ينظر بها، وكتابه الذي يتلوه، وكُلُّ ما يجول ويقرأ فيه؛ فهو هداية الى الله سبحانه وتعالى، وطريقٌ للوصول إليه، وكُلُّ ما جاءنا عن السيد المسيح عيسى بن مريم (ع) لا يخالف العقل في شيء.

والدين دين الله سبحانه وتعالى، وهو دينٌ واحدٌ عند الأولين والآخرين، وأمَّا الاختلافات فيه؛ فهي – فقط– اختلافاتٌ في صوره ومظاهره، أمَّا روحه وحقيقته؛ فهو ما طولب به البشر جميعاً على مرِّ العصور على لسان الأنبياء والرُسل، وهي الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وإخلاص العباده له سبحانه وتعالى، وهذه الحقيقة هي حقيقةٌ ثابتة لا تتغيَّر أبداً، وكذلك حُبُّ الناس على مساعدة بعضهم البعض، وكفُّ الأذى عن الآخرين[2].

١– الحديث أخرجه الكُليني في الكافي: **العل والجهل**، رقم الحديث: ١٤، ج١، ص٢١.

٢– يُنظر، عبده، محمد: **الإسلام والنصرانيَّة مع العلم والمدينَّة**، ص٥٩– ٦٠.

المبحث الرابع

أصولُ التعايش السلمي بينَ المسيحيَّة والإسلام

أعترف الدين الإسلامي والمسلمون بالنصرانيَّة بأنَّها دينٌ سماويٌ، وإنَّ النصارى هم أهل كتاب، إذ قال تعالى في ذلك: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[1].

أمَّا السيد المسيح (ع)؛ فهو نبيُ الله ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى السيدة العذراء مريم بنت عمران (ع)، حيث عبَّر القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً**﴾[2].

ولذلك؛ فلم يحاول المسلمون في عهد الرسول ولا بعده على إجبار النصارى على تغيير دينهم وإنما طالب دائما بالحوار ومجادلتهم بالتي هي أحسن[3]؛ قال تعالى: ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[4].

من الآية أعلاه؛ نجد أنَّ القرآن الكريم بيَّن للمسلمين كيفية التعامل مع أهل الكتاب، إذ أمرهم الله سبحانه وتعالى بأنْ تكون المجادلة التي تحدث بينهم في جوٍّ تسوده السماحة وحسن المعاشرة فيما بينهم؛ فقد ورد عن النبي الأكر محمد بن عبد الله (ص) أنَّه قال: "**من ظلمَ معاهداً أو كلَّفهُ فوقَ طاقتهِ فأنا حجيجه**"[5].

١- سورة المائدة: الآية ٨٢.

٢- سورة النساء: من الآية ١٧١.

٣- يُنظر، العوَّدات، حسين: **العرب النصارى (عرضٌ تاريخي)**، ص٦٤.

٤- سورة العنكبوت: من الآية ٤٦.

٥- المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار: (باب جوامع الحقوق)**، ج٧١، رقم الحديث: ٣، ص٢١.

كما ورد في كتب التاريخ: إنَّ أهل الذمَّة عاشوا طوال أربعة عشرة قرناً في الدولة الإسلاميَّة؛ كانوا يجدون كُلَّ السماحة واليسر في المعاملة لهم ما لنا وعليهم ما علينا[1].

ولذا؛ فالدين الإسلامي ضمن للنصارى حُريَّة الفكر حسب مفهومنا المعاصر، إذ قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[2]. وكذلك ترك لهم حُريَّة اتخاذ القرار وتحديد المصير. ولذا؛ فقال أيضاً: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[3]. وكذلك قوله تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[4].

وبناءً على ما تقدَّم؛ نجدُ أنَّ موقف الإسلام من النصارى؛ هو موقفٌ إيجابي من الناحيتين السياسية والسلوكيَّة. كما أنَّ المسلمين يعتبرون أهل الكتاب أصحاب ذمَّة، والذمة هي عقدٌ بين المسلمين، أو بين الدولة الإسلاميَّة وبين فئةٍ من المجتمع (كتابيَّة) أمَّا يهود أو نصارى، وبموجب هذا العقد يُعتبر غير المسلم في ذمَّة المسلمين، أي إنَّه في أمانتهم وعهدهم على وجه التأبيد، وهذا العقد يسري على أبناء أهل الذمَّة ما لم يفسخوه هم، إذ لا يحقُّ للمسلمين فسخه. وإذا فسخه فردٌ من أهل الذمَّة؛ فإنَّ المسؤوليَّة تقع عليه هو فقط ولا تقع على عاتق طائفته.

ويحقُّ للدولة فسخ هذا العقد إذا تعاون الذمَّي مع العدو، أمَّا إذا كانت أخطاء الذمَّي سلوكيَّة أو موقفه سياسي أو مشاركته في انتفاضةٍ داخليَّةٍ أو عصيانٍ على الدولة؛ فهذا يقع في دائرة (البغي)، ولا يتوجَّب إلغاء عقد الذمَّة.

١- يُنظر، تورميدا، إنسلم: **تُحفة الأريب في الردِّ على أهل الصليب**، مرجع سابق، ص١٧.

٢- سورة النحل: الآية ١٢٥.

٣- سورة الكهف: من الآية ٢٩.

٤- سورة البقرة: من الآية ٢٥٦.

وبموجب عقد الذمَّة؛ فإنَّ أهل الكتاب كانوا يدفعون مبلغ من المال يُطلق عليه اسم (الجزية)، وبموجب الجزية؛ فإنَّ الذمِّي لا يشارك؛ بل يُعفى من المشاركة في الحروب. أمَّا الحالات التي يشارك فيها أهل الكتاب بالحرب مع المسلمين؛ فإنهم كانوا يُعفون من الجزية؛ ولذلك عدَّ بعض الفقهاء أنَّ الجزية وضعتْ بدل الحماية من الغزو الأجنبي[1].

١- يُنظر، العوَّدات، حسين: **العرب النصارى (عرضٌ تاريخي)**، ص٦٧.

الفصل الثالث

السيد المسيح (ع) في التراث الفكري لأهل البيت (ع)

المبحث الأوَّل

طبيعة العلاقة بين السيد المسيح وأهل البيت (ع)

إنَّ طبيعة العلاقة بين الديانة المسيحيَّة وأهل البيت (ع) تمثِّلُ صورةً واضحةً وجليَّةً عن الدين الإسلامي، لأنَّهم الامتداد الحقيقي لرسول الإسلام محمد (ص). ولذا؛ فقد تستدعي طبيعة هذه العلاقة معرفة المساحة التي يطلقها الإسلام لقبول الآخر، وبذات الوقت؛ تفتح مجالاً للحوار والمقارنة بين الأديان, وهذا – بطبيعة الحال– يُحتَّم علينا عرض الرؤية القرآنيَّة تؤكِّد ما تقدَّم، وتقيم الأدلة عليه. ويمكن معرفة هذه العلاقة عندما وضَّح الجانب القرآن الكريم وجهة نظره بالسيد عيسى بن مريم (ع)، الذي يُعدُّ الامتداد الحقيقي لحكمة الله سبحانه وتعالى في بعث الرسل والأنبياء. ومن هنا كرسنا الآيات القرآنيَّة الشريفة لإيضاح ذلك.

وبناءً على ما تقدَّم؛ فقد انطلقنا بالفكر المسيحي من خلال دراسة التراث الإسلامي اعتماداً على الكتاب المقدَّس، وتأمل الإشارات الواقعة التي كانتْ تشير إلى الأنبياء والرُسل (ع)، وخاتم النبيين محمد (ص)، وفي حقيقة أهل بيته الأبرار (ع).

وفي بعض النصوص التي وردتْ في التراث الإسلامي دليلٌ واضحٌ على إيمان المسلمين بالسيد المسيح عيسى بن مريم (ع)، كالنص القائل: "**نحن المسلمون نؤمن أنَّ السيد عيسى بن مريم (ع) هو أحد أعظم رُسل الله (ع), وأنَّه المسيح, وأنَّه ولد بمعجزةٍ من غير تدخَّل, وأنَّه أحيا الموتى بإذن الله، وأنَّه أبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله؛ بل الواقع أنَّ المسلم لا يكون مسلماً إنْ لم يؤمن بعيسى (ع)**"[1].

إنَّ هذا التقارب يُبرِّز نظريَّة الإسلام اتجاه الأخرين في سماحته ودعوته للإسلام، والتركيز على التلاقي والمقارنة بين الأديان حتَّى تصبح دستوراً ومثلاً لمبدأ السلام والتعايش السلمي. ولذا؛ فلو تأملنا كتب السير، وما نقلتهُ عن مدى الإحسان والسلام والتسامح الذي قدَّمه الرسول الكريم محمد بن عبد الله (ص) في أثناء تعامله مع أهل الكتاب، ولاسيما النصارى, إذ يمكن تصوُّرها في موقفه (ص) مع أهل نجران الذين جادلوه في أمر نبي الله عيسى (ع؛ فجاءوا بمغالطات، وطالبوا النبي (ص) بردها, حيث انتهتْ بهم المسألة أنْ قالو له: "ما تقول في عيسى (ع). وردَّ (ص) على ذلك من خلال القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ**

١- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: **المسيح** (ع)، ص١٣٨.

ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ* الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ* فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

ومع ذلك؛ فقد تركَ اللهُ ورسولهُ الخيار لهم بين الهداية والرفض، وهذا ما بيَّنه القرآن الكريم. والرواية – بعمومها- تجلَّتْ فيها مكانة النبي الكريم محمد بن عبد الله (ص)، وأنَّ النصارى وغيرهم يقرُّونَ به، ويعلمون أنَّه الحقُّ"[2].

أمَّا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)؛ فقد كان "أنموذجاً لإعطاء صورة عن تأثُّر الشعراء النصارى بأهل البيت (ع)، بوصفه أسساً لموروثٍ جمعي للأجيال القادمة ممَّن أمعن النظر بالإسلام ورجاله، ولا سيما النصارى المسيحيين الذين نادوا برسالة النبي محمد (ص) المبنية على الوثوق بالطبيعة البشريَّة، وحُسن الظنَّ بالشخصيَّة الإنسانية في إدراك القيم من حقٍّ وخيرٍ، وفي حفظ الكرامة الإنسانيَّة التي كانتْ عند دُعاة الأوثان، والأديان السابقة مهانة"[3].

وبناءً على ما تقدَّم؛ فقد أستمد المسيحيون من فكر أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) وعطاءه، انطلاقات فكريَّة لمعالجاتٍ حياتيَّةٍ كثيرةٍ، إذ أثمروها في نتاجاتهم الشعريَّة، فكان أغلبها في ذكر بيعة الغدير... وغيرها[4].

كما حوتْ المصادر القديمة بيان انبهار المسيحيين بالأمام علي بن أبي طالب (ع), نحو ظهور عين الماء مُغطاة بصخرةٍ يحرسها راهبٌ مسيحي....[5]، وهذا ما يثير فينا العشق والهيام الذي أثمر في أشعار المسيحيين بحُبِّ أهل البيت (ع). ولذا؛ نجد أنَّ بقراط بن أشوط[6] يتغنَّى في شِّعره عن ذلك العشق[7]:

أليسَ بخمٍ قدْ أقــامَ محمـــــدٌ علياً بإحضارِ الملا في المواسـمِ

١- سورة آل عمران: الآيات ٥٩- ٦١.

٢- سينيوس، لويس: **المباهلة بين النبي (ص) ونصارى نجران**، ص١٠٦- ١١٨.

٣- السبتي، موسى: **محمد والحكمة**، مجلة العرفان، ج٣، مج٣٢، ص٢١٧.

٤- قاتل المسيحيون مع الإمام علي (ع) في معركة الجمل، وساوى بينهم وبين المسلمين في العطاء؛ للمزيد من التفصيل يُنظر؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر: **تاريخ اليعقوبي**, مج٢، ص١٤٣- ١٤٤.

٥- الخصيبي، أبي عبد الله الحسين بن حمدان: **الهداية الكُبرى**، ص٦٥.

٦- **بقراط بن أشوط**: وهو أحد بطارقة أرمينية. وفي عهد المتوكل يوسف بن محمد حين اضطرب أمر أرمينية خرج عليه كبير بطارقتها بقراط يطلب الإمارة لنفسه على المنطقة؛ فحاربه يوسف وانتهى الأمر به أنْ ألقى القبض عليه، وبعث به إلى الخليفة المتوكل. للمزيد من التفصيل يُراجع؛ الطبَّاع، عمر فاروق: **ديوان البحتري**، مج١، ص٣٨.

٧- بن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي: **مناقب آل أبي طالب**، ص٣.

فقالَ لهم من كُنتُ مولاهُ منكـــم فمـولاكمُ بعـــدي علـي بن فاطـمِ

فقالَ إلهي كُـن ولـــيَ وليـــهُ وعـاد أعاديـه علـى رغـمِ راغـمِ

وكانتْ أشعار هؤلاء الشعراء وكتاباتهم مثالاً ناصعاً بتمثيل شخصيَّة الإمام علي (ع) فكراً وعملاً وأخلاقاً؛ لأنَّه طريق النور والخلاص؛ فكان بالنسبة للمسيحيين ليسَ أماماً للمسلمين فحسب؛ بل إمام لكُلِّ إنسانٍ حُرٍّ يبحث عن خلاصه.

ولم يتوقف الأمر عند الإمام علي (ع)؛ فهناك شعراء رثوا الإمام الحسين (ع) من النصارى نحو: القاسم بن يوسف بن صبيح (ت: ٣٨٤هـ)[١] القبطي الأصل وغيره من شعراء الكوفة[٢]؛ فالإمام الحسين (ع) له أثرٌ واضحٌ في نفوس المسيحيين، رُبَّما لِما لاقاه من مصيرٍ يُشبه مصير السيد المسيح (ع) جرَّاء تبليغ رسالته؛ فكان الحُزن على الحسين (ع)، وتخليد ذكراه وفاءً لذكرى المسيح (ع). وبقاء نهضة الإمام الحسين بن (ع) تُلقي بظِلالها على خلود رسالة السيد المسيح (ع) لتشابه الوقائع بينهما؛ فنقاط التشابه والاختلاف بينهما يبيِّن ثمة تشابه غير مباشر يقربهما من بعضهما؛ فالمسيح (ع) أوتي قدرة مخاطبة الناس وهو في المهد صبياً، والحسين (ع) أوتي ملكة الخطابة من طلاقة لسان وحُسن البيان[٣].

وممَّا نجدهُ – أيضاً– من حُبِّ المسيحيين[٤] للإمام الحسين (ع)؛ نذكر حادثة دفعتْ براهبٍ مسيحي لأنْ يبذل دراهم مقابل تقبيل رأسه الشريف بعد استشهاده، وتطيبه بالطيب،

١– **القاسم بن يوسف:** هو القاسم بن يوسف بن صبيح القبطي الأصل. وهو مولى بني عجل من أهل الكوفة ، وكان أسنُّ من أخيه أبي جعفر أحمد بن يوسف وأكثر شِّعراً منه، وأفصح في شعره، وأشعر في فنِّه الذي أعجبه من مرائي البهائم من جميع المحدثين حتَّى أنَّه لرأس فيه متقدَّم جميع من نحاه، وما ينبغي أنْ يُسقط من شعره شيء؛ لأنَّه كُلُّه مختار وللناس فيه فائدة؛ للمزيد من التفصيل يُراجع، شُبَّر، جواد: **أدبُ الطفِّ**، ج١، ص٣٣٦.

٢– المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران: **معجم الشعراء**، ص٦٨.

٣– الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ج٦، ص٢٢٩.

٤– وفي ذلك يقول المؤرِّخ الإنكليزي برسي سايكس: "إنَّ الإمام الحسين وعصبته القلية المؤمنة عزموا على الكفاح حتَّى الموت، وقاتلوا ببطولةٍ وبسالةٍ ظلَّتْ تتحدَّى إعجابنا وإكبارنا عبر القرون، وحتَّى يومنا هذا، ناهيكَ عن كثيرٍ من الحوادث التي تُجسِّدُ حُبَّ المسيحيين للإمام الحُسين (ع) كقائد قوَّم المسيرة الإلهيَّة التي تعاقبتْ عليها الرُسل حتَّى خاتم الأنبياء النبي الأكرم محمد بن عبد الله (ص)؛ للمزيد من التفصيل يُنظر؛ قنصل، كرم: **كربلاء الفداء في الفكر المسيحي**، مجلَّة الكلمة السوريَّة، العدد: ١٤، السنة: ١٩٧٩، ص١٧.

وكان ذلك عندما نُصبَ الرأس على رمحٍ إلى جانب صومعته، وفي أثناء الليل سمع تسبيحاً وتهليلاً؛ ورأى نوراً ساطعاً من الرأس المطهَّر، وسمع – أيضاً- قائلاً يقول: "السلام عليك يا أبا عبد الله"، فتعجَّب حيثُ لم يعرف الحال، وفي الصباح قالو له: إنَّه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت النبي محمد (ص)، فقال لهم: تباً لكم أيتُها الجماعة، صدقتْ الأخبار في قولها: إذا قُتل تمطر السماء دماً. وأراد منهم أنْ يُقبَّلَ الرأسَ فلم يأذنوا له إلَّا بعد دفع الدراهم، ولما غادروا المكان، نظروا إلى الدراهم مكتوب عليها: وسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون"[١].

وإلى ذات السياق؛ فقد امتزج الأُدباء من الديانة المسيحيَّة مع أدب الطف أيضا، فكتبوا عن الإمام الحسين (ع) أعذب وأجمل القصائد، ومن هؤلاء الأُدباء: الشاعر حبيب الغطَّاس[٢]، والشاعر حليم دموس[٣]، والشاعر الكبير القدير بولس سلامة (ت: ١٩٧٩)[٤]، وقصائده الرائعة بحقَّ الإمام الشهيد الحسين بن علي (ع)؛ فيقول في رائعة من روائعه[٥]:

ناولوني القرآن قال حسين

لذويه وجدَّ في الركعاتِ

فرأى في الكتاب سِفرَ عزاء

١- بارا، انطوان: **الحُسين (ع) في الفكر المسيحي**، ص٩٤.

٢- **حبيب الغطَّاس**: وهو شاعر مسيحي لبناني، ولد عام ١٨٩٠، اعتنق الإسلام وتمسَّك بمذهب أهل البيت (ع)، إذ أعلن إسلامه بكُلِّ فخر واعتزاز عام ١٩٦٠؛ ممَّا جعله يخسر منصبه الذي كان حكراً على المسيحيين؛ فقدم استقالته من خدمة الجيش. للمزيد من التفصيل يُنظر؛ **موسوعة الشعراء**، مُتاحة على شبكة الأنترنت على الموقع: **www.saddan.com**، تاريخ الزيارة: ٢٧/ ٣/ ٢٠١٨.

٣- **حليم دموس**: هو شاعر ومترجم لبناني، ولد في مدينة زحلة عام ١٨٨٨م، وتلقَّى دراسته في الكليَّة الشرقية في زحلة؛ ثمَّ هاجر إلى البرازيل، وتعاطى الصحافة مُدَّة قصيرة هناك؛ ثمَّ رجع إلى وطنه. له مُؤلَّفات منها: ديوانه (ديوان حليم)، وله قصائد التهنئة والمراسلات؛ إذ حفظها في مجموعةٍ على حدة سمَّاها: (صدى الجنان)؛ للمزيد من التفصيل يُراجع؛ **موسوعة الشعراء**، مُتاحة على شبكة الأنترنت على الموقع: **www.saddan.com**، تاريخ الزيارة: ٢٧/ ٣/ ٢٠١٨.

٤- **بولس سلامة**: أديب وشاعر مسيحي لبناني، ولد في جزين جنوب لبنان، درس الحقوق في الجامعة اليسوعيَّة (جامعة القدِّيس يوسف)، وعمل قاضياً سنة (١٩٢٨). له ملحمة (الغدير) التي تبلغ أكثر من ثلاثة آلاف بيت في سبعة وأربعين فصلاً تناول فيها تاريخ الإسلام منذ بدء الدعوة المحمديَّة المباركة، وحتَّى يوم كربلاء. وله غيرها الكثير من القصائد في مدح الإمامين علي والحسين (ع). مُتاح على شبكة الأنترنت، على الموقع: **htt//newspaper.annahar.com**، تاريخ الزيارة: ٢٧/ ٣/ ٢٠١٨.

٥- الكُرباسي، محمد صادق: **المدخل إلى الشِّعر الحُسيني**، ج١، ص٦٩.

ومشى قلبه على الصفحاتِ

ليس في القارئين مثلُ حسين

عالماً بالجواهر الغالياتِ

فهو يدري خلف السطور سطوراً

ليس كلُ الاعجاز في الكلماتِ

للبيان العُلوي في أنفس الأطهار

مسرى يفوقُ مسرى اللغاتِ

وهو وقفٌ على البصيرة فالأبصار

تعشو في الأنجم الباهراتِ

يقذف البحرُ للشواطئ رملاً

والآلي تغوص في اللُّجاتِ

والمصلُّون في التلاوة أشباه

وإنَّ الفـــــروق بـالنيّـــاتِ

فالمناجاة شعلةٌ من فؤاد

صادق الحس مُرهف الخلجاتِ

فإذا لم تكن سوى رجع قول

فهي لهو الشفاه بالتمتماتِ

إنما الساجد المُصلي حسين

طاهرُ الذيل طيّب النفحاتِ

فتقبّلْ جبريلُ أثمارَ وحي

أنت حُمّلتهُ إلى الكائناتِ

إذ تلقَّاه جدُّه وتـــــلاه

مُعجزات ترنُّ في السجعاتِ

وأبوه مُدوّن الذكر أجـــــراه

ضـــــياءً على سوادِ الدواةِ

فالحسين الفقيهُ نجلُ فقيـه

أرشد المؤمنين للصلواتِ

ويطالعنا الأدب العربي بقائمةٍ كبيرةٍ من قاماته السامقة من الشعراء والأدباء المسيحيين استلهموا من علي والحسين (ع) الروح الإنسانيَّة الكبيرة؛ إذ كتب الشاعر اللبناني بولس سلامة ملحمة (الغدير) التي تبلغ أكثر من ثلاثة آلاف بيت، كما كتب ملحمة (علي والحسين) التي تبلغ (٢٢٠) بيتاً، وكتب عبد المسيح انطاكي[١](الملحمة العلويَّة) التي تبلغ (٥٥٩٥) بيتاً، وكتب ريمون قسَّيس[٢] ملحمة (الحسين).

يقول ادوار مرقص[٣]:

يا غرة الشهداء من عليائها * لوحي عليهم كالضياء العاقد**

موسومة بدم الشهادة فهي لا * تنفك تدمي مثل زند فاصد**

١- **عبد المسيح الأنطاكي**: شاعر وصحفي عربي سوري يوناني الأصل، ولد بحلب وتعلَّم بها، واتَّصل بعبد الرحمن الكواكبي وتتلمذ على يده. هاجر إلى مصر، وساح في العالم العربي. أصدر مجلَّة (الشذور) في حلب؛ ثمَّ مجلَّة (العمران) في مصر، ومدح بعض الأمراء العرب، ونظم قصيدة طويلة في سيرة الإمام علي (ع). للمزيد من التفصيل يُراجع؛ الأنطاكي، عبد المسيح: **ملحمة الإمام علي (ع)**، ص١١٠.

٢- **ريمون قسيس**: شاعر لبناني، ولد في مدينة زحلة، درس في الكليَّة الشرقيَّة، ومارس التدريس والعمل الإداري في دائرة التَّربية الوطنيَّة في البقاع. شارك في أمسياتٍ ولقاءاتٍ ومهرجاناتٍ شِّعريَّة. كما شارك في حلقاتٍ إذاعيَّةٍ وندواتٍ ومؤتمراتٍ عبر (حركة الحوار والثقافة في لبنان). وهو أيضاً عضو مجلس قضاء زحلة الثقافي، وعضو اتحاد كُتَّاب لبنان، وعضو مؤسَّس في حركة الحوار والثقافة في لبنان، ونائب رئيس واحة الأدب في البقاع. يكتب الشعر باللغتين العربيَّة والفرنسيَّة. صدرت له خمس مجموعات شِّعريَّة هي (علي، الفارس، الفقيه، الحكيم) عام (١٩٩١)، و(قصائد أولى باللغة الفرنسيَّة) عام (١٩٩٧)، و(أوراق شاعر) عام (٢٠٠٤)، و(منائر) عام (٢٠٠٥)، و(الحسين) عام (٢٠١٠). وله عدَّة مخطوطات شِّعريَّة بالعربيَّة والفرنسيَّة. مُنح عدَّة أوسمة من مراجع لبنانيَّة. مُتاح على شبكة الأنترنت على موقع النبأ: **www.annabaa.org**، تاريخ الزيارة: ٢٨/ ٣/ ٢٠١٨.

٣- **إدوار نقولا مرقص**: شاعر وكاتب وصحفي سوري، ولد في اللاذقيَّة في سوريا، ودخل المدارس فيها وعمل معلما في بلدته، وطرابلس، ومصر. كما عمل محرراً في صحف ومجلات سوريا ومصر ولبنان، وترجم أعمالاً أدبيَّة إلى العربيَّة أكثرها فرنسيَّة، كان عضواً في المجمع العربي بدمشق ويُعدُّ من كِبار كُتَّاب المقالة الصحفيَّة في الوطن العربي، له العديد من المؤلَّفات الأدبيَّة وترجم العديد من الكتب الفرنسيَّة إلى العربيَّة، له ديوان شعر ضمَّ قصيدة استوحاها من القيم العُليا التي حملها الإمام الحسين (ع) في كربلاء؛ للمزيد من التفصيل يُراجع؛ عيَّاش؛ عبد القادر: **مُعجم المؤلفين السوريين**، ص٣٨.

كيما يسيروا في الحياة بنهجه * لا يخضعون لغاصب ومعاند**

ويقول بولس سلامة:

سوف يبقى الدمُ الزكي لواءٌ * لشعوبٍ تحاولُ استقلالا**

وتذكر الأحداث والروايات أنَّ السيد المسيح (ع) تنبَّأ بالحسين (ع)؛ فلعن قاتليه؛ وقال: **"من أدرك أيامه؛ فليقاتل معه؛ فإنَّه كالشهيد مع الأنبياء (ع)، ومقبلاً غير مدبر، وكأنِّي أنظرُ إلى بقعتهِ، وما من نبيٍّ إلَّا زارها وقال: إنَّكِ لبقعةٍ كثيرةِ الخير، فيكِ يُدفنُ القمرُ الزاهر"**[1].

فالحسين بن علي بن أبي طالب (ع) من وجهة النظر المسيحيَّة إذاً؛ هو شهيدٌ للمسيحيَّة كما للإسلام، وكما لغيرهما من العقائد؛ لأنَّ فداءه ذو أهدافٍ إنسانيَّةٍ شموليَّةٍ لا تُختصر بفردٍ دون أخر، ولا بعقيدةٍ من دون أخرى.

وما دامتْ تُحدد ماهيَّة ثورة الحسين بن علي (ع) بهذه الأُطر؛ أفلا يجدر بنا اعتبار الإمام الحسين (ع) شهيداً للإسلام وللمسيحيَّة، ولكُلِّ الأديان والعقائد الإنسانيَّة الأُخرى؟ وما هي – أذاً– رؤية الفكر المسيحي المتفرع عن شجرة الفكر الإنساني لملحمة استشهاد وفداء الحسين (ع)، هذا الفكر الذي يرى في ركني الاستشهاد: (والفداء والتضحية)، الأعمدة التي تقوم عليها معتقداته المؤطَّرة بشموليَّةٍ إنسانيَّة؟

ويمكن لنا الإجابة هنا؛ من خلال السيد المسيح عيسى بن مريم (ع) الذي ما جاء إلى الناس إلَّا قائداً ومستشهداً من أجل بشارة الحقِّ. ولذا؛ فثمَّة تقارب كبير بين حركتي الفداء والاستشهاد اللتين أقدم عليهما عيسى والحسين (ع)[2].

كما أنَّ هناك أقوال تحدَّث بها المسيحيون، ومنها:

١- يشكِّك البعض بأنَّ هذا القول لم يرد نصَّه في الإنجيل؛ بل هو منسوبٌ إلى السيد المسيح (ع) عند ابن قولويه في كتابه: (كامل الزيارات)، ص٦٢. ويُعجب المرء لهذه الانتقائيَّة في أخذ الحقائق والروايات التاريخيَّة؛ فإذا كان بمقدور النبي عيسى (ع) إحياء الموتى وشفاء الأكمه وإبراء الأبرص بلمسة أو كلمة؛ فهل عسيرٌ عليه المرور بكربلاء والتنبؤء بمن سيُصرع فوقَ أديمها من الشهداء بعد قرونٍ من الزمن؟... والأحداث الأُخرى تذكرُ أنَّ النبي عيسى (ع) مرَّ بأرض كربلاء وتوقَّف فوق مطارح الطَّف، ولعن قاتلي الحسين (ع) ومُهدري دمه فوق هذه الثرى؛ للمزيد من التفصيل يُراجع، الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى: **إكمال الدين وتمام النعمة**، ص٢٩٥.

٢- يُنظر؛ بارا، انطوان: **الحسين في الفكر المسيحي**، ص٨١؛ غريب، محسن ظافر: **الحسين في الفكر المسيحي**، مجلَّة الحوار المتمدِّن، العدد: ٢٩٨٣، لسنة ٢٠١٠.

١- يقول قسٌ مسيحي: **"لو كان الحسين لنا؛ لرفعنا له في كُلِّ بلدٍ راية، ولنصبنا له في كُلِّ قريةٍ منبراً، ولدعونا الناس إلى المسيحيَّة باسم الحسين"**[١].

٢- يقول الكاتب انطوان بارا[٢]، وهو يعقد مقارنة بين رسالة عيسى (ع)، وبين رسالة الإمام الحسين بن علي (ع): **"إنَّ ظروف نشأتهما وتشابه المحنة وتطلعات حركتهما الثوريَّة على مجتمعٍ متهتَّك"**[٣].

ورسالة السيد المسيح (ع) كانتْ على لسانه كما ورد في الانجيل: **"روحُ الربِّ نازلٌ عليَّ؛ لأنَّهُ مسحني، وأرسلني لأُبشِّرُ الفقراءَ، وأَبلغُ المأسورينَ، وأطلقُ سبيلَهم، وأخرجُ عَنْ المظلومينَ، وأُعلنُ سُنَّةً مرضيَّةً لدى الرب"**[٤].

ويرتبط الفكر المسيحي والعقائد الشيعيَّة بفكرة المخلِّص المرتبط بعقيدة أخر الزمان؛ فالمسيحيون يذهبون إلى رجوع السيد المسيح (ع)، والشيعة يذهبون إلى ظهور الإمام المهدي المنتظر (ع). فكلا الفكران يسيران باتجاهٍ معرفيٍّ واحد؛ وذلك باللجوء إلى مخلِّص البشريَّة. ومن هذه النقطة؛ نشأتْ العلاقة الجدليَّة على مستوى العقيدة الدينيَّة[٥]؛ وأنَّ موعود المسيحيين مثل مهدي الشيعة قد ولد وغاب عن الأنظار، وسيظهر في أخر الزمان[٦].

١- العقَّاد؛ عباس: **أبو الشهداء الحسين بن علي**، ص٥٤.

٢- **انطوان بارا**: كاتب وصحافي سوري، اكتسب شهرة واسعة في الخليج مبكِّراً من خلال كتابه: (الحسين في الفكر المسيحي). ابتدأ أوَّل عهده بالتأليف مع الإمام الحسين (ع)، وأراد أن يختمه مع اخته زينب (ع)، وما بين هذين المعلمين البارزين ألَّف في مختلف المجالات من أدب الرحلات، والأدب الغيبي والواقعي وأدب الاعترافات والرواية البوليسيَّة وأدب الاحتلال. والأغرب من ذلك تناوله أدب الخيال العلمي. تُرجمتْ بعض كُتبه إلى عددٍ من اللغات، إلَّا أنَّ المغامرة الكُبرى في عالم الكتابة هي تناوله قضية الحسين (ع)، وكتابه تُرجم إلى ١٧ لغة. عمل مقرَّر دراسات عُليا في خمس جامعات. بارا، انطوان: **مع الإمام الحسين (ع)**، مجلَّة الوسط، العدد: ٥٣٤، لسنة ٢٠٠٤، ص١٧.

٣- القزويني، خولة: **الحسين في قلب المسيح**، مجلة القبس الالكتروني، ٢٠٠٦.

٤- إنجيل لوقا:٤: ١٨؛ ومتَّى ٣: ١٦.

٥- الواسطي؛ أحمد: **أهل البيت في الكتاب المُقدَّس**، ص٦٦.

٦- ذكرتْ أحاديث يوم الكرَّة الواردة في تفسير البرهان ذيل الآية: (٦) من سورة الإسراء: إن للإمام الحسين (ع) دوراً مهمَّاً بعد الرجعة، حيث يتولَّى مهمَّة تجهيز الإمام المهدي (ع). وقد روي عن الإمام الصادق (ع)، إنَّ الحسين يتولَّى حساب الناس يوم الجزاء وهذه العقيدة تشبه إلى حدٍّ بعيد عقيدة المسيحيين في حقِّ عيسى بن مريم (ع)، ويقول: "إنَّ الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي؛ فأمَّا يوم القيامة؛ فإنَّما هو بعثٌ إلى الجنة، وبعثٌ إلى النار"؛ بارا، أنطوان: **الحسين في الفكر المسيحي**، مرجع سابق، ص٨٥.

والألم الخلاصي – مثلما نعرف– عند المسيحية؛ هو إنَّ الإنسان بعدما يقترف خطيئة، الخطيئة التي تبعده عن الله وتفصله عن الله؛ تكون الحاجة إلى الله نفسه؛ أو أنْ يأتي ويعيد ما خرَّبته الخطيئة، وأنْ يعيد للإنسان الحياة. كما أنَّ الله – عند المسيحيَّة– يتجسَّد، ويقوم بفداء الإنسان من خطيئته ويُخلصه منها.

أمَّا في ما يخصُّ الإسلام؛ فنحن بالتأكيد لا نستطيع أنْ نقول: إنَّه يوجد هناك مفهومٌ واضحٌ للفداء في الإسلام؛ إذ إنَّ هناك ما يشبه مفهوم الفداء الخلاصي عند الإسلام الشيعي، ولا يوجد عند الإسلام السُنَّي بالتأكيد.

وبما أن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) لم يكنْ إلهاً ولم يؤلَّه أبداً، لهذا يبقى مفهوم الفداء عند الشيعة مرتبطاً أكثر بقضية الشفاعة، وأن الإمام الحسين (ع) له مكانة عظيمة عند الله، وهو الوسيط بين الله وبين الإنسان.

ومن خلال هذه الوساطة؛ فالأئمَّة الاثني عشرة بالنسبة للفكر الشيعي هم وسطاء بين الله وبين الإنسان، على اعتبار أنَّهم – بحسب التراث الشيعي– كان لهم وجود سابق في السماء قبل الخليقة بـ (١٣) ألف عام، ونفوس الأئمَّة كانتْ كأعمدةٍ من النور أمام عرش الله، ومعنى ذلك أنَّ الأئمَّة لهم هذا الدور الوسيط مثلما هو بالتأكيد بالنسبة للمسيحيَّة. والمسيح الذي هو تجسيدٌ لله، وهو بين الله وبين الإنسان، وهو يجدّد أو يصلح ما خرَّبته الخطيئة. فالأئمَّة الاثني عشرة لهم هذا الدور على اعتبار أنَّهم أولياء الله. وهذه المكانة التي يمتلكها الأئمَّة في التراث الشيعي تجعلهم يكونون وسطاء، وبالتالي شفعاء للمؤمنين[1].

وبالتأكيد؛ فإنَّ هذا يقترب من المفهوم المسيحي، إذ توجد في المسيحيَّة شفاعة القديسين، وهذا مُشتركٌ مع التراث الشيعي؛ ولكنَّ السيد المسيح (ع) بالنسبة للمسيحيَّة لا يؤدِّي دور الشفيع؛ غير إنَّه يقوم بالخلاص.

ولذا؛ فقد حفلتْ سيرة النبي محمد (ص)، وأهل بيته (ع) بنماذج حياتيَّة اتجاه المسيحيين، وبقيتْ حافلة بذاكرتهم على امتداد العصور، لاسيما سيرة النبي محمد (ص)، والإمام علي بن أبي

١– عبد الوهاب، أحمد: **المسيح في مصادر العقائد المسيحيَّة**، ص٦٧.

طالب والامام الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، إذ جلبتْ معطيات فكريَّة استند إليها الشُعراء والأُدباء المسيحيين في نتاجاتهم.

وبناءً على ما تقدَّم؛ نجد أنَّ العلاقة واضحة بين أهل البيت (ع)، وبين المسيحيين الذين أنتجوا شعراً في حقِّهم. وكُلُّ الذي ذُكر؛ ما هو إلَّا تعريفاً في حمل سيرة النبي محمد بن عبد الله (ص)، وأهل بيته الأطهار (ع) دون سواهم. وهذا – في واقع الحال- ملفتٌ للنظر؛ إذ إنَّ للسيد المسيح (ع) حضورٌ في تُراث المسلمين الشيعة.

المبحث الثاني

روايات أهل البيت في السيد المسيح (ع)

أوَّلاً– أوصاف السيد المسيح (ع):

رُبَّما من أهم الأسئلة التي تتبادر إلى الأذهان بهذا الصدد: كيف وصف أهل البيت (ع) نبي الله عيسى بن مريم (ع)؟

وللإجابة عن هذا السؤال؛ نقول: إنَّ الصفات التشكيليَّة للسيد المسيح (ع) غيبٌ لا نعلم عنه إلَّا ما أعلمنا به الوحي عن طريق النبي محمد بن عبد الله (ص)، إذ وردتْ أحاديث كثيرة عن أهل البيت (ع) تبنَّتْ وصف السيد المسيح (ع)، ومنها:

– عن الإمام جعفر بن محمدٍ الصادق (ع) أنَّه قال: **"قال رسول الله محمد (ص): رأيتُ إبراهيم وموسى وعيسى (ع). فأمَّا موسى (ع)؛ فرجلٌ طويلٌ سبط يُشبهُ رجال الزط ورجال أهل شنوءة. وأمَّا عيسى فرجلٌ أحمرٌ جعدٌ ربعة. قال ثم سكتَ، فقِيل له: يا رسول الله أمَّا ابراهيم (ع)؟ قال: انظروا إلى صاحبكم يعني نفسه"**[1].

– عن الرسول الأكرم محمد بن عبد الله (ص) أنَّه قال: **"من أراد أنْ ينظر إلى آدم في وقاره، وإلى موسى في شدَّة بطشه، وإلى عيسى في زهده؛ فلينظر إلى هذا المقبل؛ فأقبل علي بن أبي طالب (ع)"**[2].

– وفي روايةٍ أُخرى تبيَّن وجه الشبه بين الإمام علي بن أبي طالب (ع)، وبين السيد المسيح (ع) لما مثل بين يدي رسول الله (ص) أنَّه قال بأعلى صوته: **"يا عباد الله، من أراد أنْ ينظرَ إلى آدم في جلالته، وإلى شيث في حكمته، وإلى إدريس في نباهته، وإلى نوح في شكره لربه وعبادته، وإلى إبراهيم في خلَّته ووفائه، وإلى موسى في بغض كُلَّ عدوٍ لله ومنابذته، وإلى عيسى في حُبِّ كُلِّ مؤمنٍ وحُسن معاشرته؛ فلينظر إلى علي بن أبي طالبٍ هذا"**[3].

١– المجلسي؛ محمد باقر: **بحار الأنوار**، مصدر سابق، ج١٠، ص٣٤.

٢– المصدر نفسه، ج٩، ص٧٨.

٣– **تفسير الإمام الحسن العسكري**، ص٤٩٨.

كما وصف السيد المسيح (ع) بالكثير من الصفات؛ ومنها: (الكلمة)، حيث كان (ع) كلمة الله عزَّ وجلَّ، إذ عبَّر القرآن الكريم عن ذلك، في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**﴾[1].

وأُطلقتْ عليه لأنَّه خُلق من غير واسطة؛ فعن ابن كثير؛ أنَّ السيد المسح (ع) وصف – أيضاً– بالوجيه، أي يُعظَّم ويُحترم عند المواجهة لسأله من مكانةٍ في النفوس، وسيكون ذا وجاهه وكرامة في الدارين[2].

ووصف – أيضاً– أنَّه مُبارَكٌ؛ حيث ورد في القران لما نطق النبي عيسى (ع) في مهده، قال عن نفسه: ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**﴾[3]. ومن بركاته (ع) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة المظلوم[4].

- وفي حديثٍ آخر يذكره أبو المفضَّل محمد بن عبد الله، قال: حدَّثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، قال: حدَّثنا يحيى بن زكريا عن الحسن بن محبوب عن هاشم بن سالم عن زيد الكنَّاسي، قال: سَمعتُ أبا جعفر محمدٍ الباقر (ع) يقول: "**صاحب هذا الأمر فيه سُنَّةٌ من يوسف، وسُنَّةٌ من موسى، وسُنَّةٌ من عيسى، وسُنَّةٌ من محمد. وأمَّا شبهه من يوسف؛ فإنَّ إخوته يبايعونه ويخاطبونه، وهم لا يعرفونه. وأمَّا شبهه من موسى فخائف. وأمَّا شبهه من عيسى فالسياحة.....**"[5].

- قال الإمام الصادق (ع): "**.... فأخذ نوح (ع) التابوت؛ فدفنه في الغري وهو قطعة من الجبل الذي كلَّم الله موسى (ع) تكليماً، وقدَّس عليه عيسى (ع) تقديساً، وأتَّخذ إبراهيم (ع) خليلاً، وأتَّخذ محمداً (ص) حبيباً، وجعله للنبين مسكناً...**"[6].

ثانياً– الحواريونَ

١– سورة النساء: الآية ١٧١.

٢– رضا، محمد رشيد: **تفسير القرآن الكريم**، ج٣، ص٣٠٤– ٣٠٦.

٣– سورة مريم: الآية ٣١.

٤– الفخر الرازي: **التفسير الكبير**، ج٢، مصدر سابق، ص٢١٥.

٥– الطبري، محمد بن جرير: **دلائل الإمامة**، مصدر سابق، ص٢٩١.

٦– الشعيري، تاج الدين: **جامع الأخبار**، ص٢١.

الحواريون في اللغة؛ وهم القصَّارون الذين يُبيضونَ الثياب، ثمَّ غلب حتَّى صار كُلُّ ناصٍ وَكُلُّ حميمٍ حوارياً. وقال بعضهم: الحواريون صفوة الأنبياء (ع)، من الذين خلصوا لهم[1]. والحواريون هم الصفوة التي آمنتْ بالسيد المسيح عيسى بن مريم (ع)، ونصرته في الإيمان والعمل، وأخلصتْ في تصديقها[2].

فحديث الحواريون ذكره أهل البيت (ع) في الكثير من رواياتهم أهم هذه الروايات. وقد ورد عن الإمام الباقر (ع) أنَّه قال: **"إنَّ الله أرسل عيسى (ع) إلى بني إسرائيل خاصَّة، وكانتْ نبوُّته في بيت المقدس، وكان من بعده من الحواريون اثني عشرة"**[3]؛ أي كان عدد الحواريون اثنا عشرة حوارياً. وقد ذُكرتْ اسماؤهم في إنجيليَّ: متى وبرنابا، وهؤلاء هم تلاميذ السيد المسيح (ع)، بثهم في القرى اليهودية يدعون إلى ما دُعي إليه السيد المسيح (ع)[4].

وعن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) عن عبد الله بن عباس أنَّه قال: "**.... قلتُ يا رسول الله فكم الأئمَّة من بعدك؟ فقال (ص): بعدد حواري عيسى (ع)، وأسباط موسى (ع)، ونقباء بني إسرائيل. قلتُ يا رسول الله فكم كانوا؟. قال: كانوا اثنى عشرة، والأئمَّة بعدي اثنا عشرة**"[5].

وفي حديثٍ أخر عن أحمد الهمداني عن علي بن الحسن بن فضَّال عن أبيه أنَّه قال: "**قلتُ للإمام علي بن موسى الرضا (ع): لمَ سُمي الحواريون الحواريين؟ قال: أمَّا عند الناس؛ فأنَّهم سُموا حواريين لأنَّهم كانوا قصَّارين يُخلصون الثياب من الوسخ بالغسل: وهو اسمٌ مُشتقٌ من الخبز الحواري. وأمَّا عندنا؛ فسُمَّي الحواريون حواريين؛ لأنَّهم كانوا مخلصين في أنفسهم، ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير. قال: فقلتُ**

١- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: **لسان العرب**، ج١، ص٧٥١.

٢- الفاضلي، داوود علي: **أصول المسيحيَّة**، ص٨٣-٤٣.

٣- المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، ج١٤، ص٢٥٠.

٤- النجَّار، عبد الوهاب: **قصص الأنبياء**، ص٤٠٦.

٥- المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، المصدر السابق، ج٣٦، ص٢٨٥.

له: فلمَ سُمي النصارى نصارى؟ قال: لأنَّهم من قريةٍ اسمها ناصرة من بلاد الشام، نزلتها السيدة العذراء مريم بنت عمران والسيد المسيح عيسى (ع) بعد رجوعها من مصر"[1].

من هذا نعرف أنَّ سبب تسميتهم بهذا الاسم – كما يرجعه البعض– لبياض ثيابهم؛ ويرجعه أخرون إلى طبيعة عملهم، إذ كانوا قصَّارين يبيضون الثياب، وهناك من قال: إنَّهم سُموا بذلك لنقاء قلوبهم من كُلِّ نفاق وريبة[2].

وفي حديث ابن محبوب عن أبي يحيى كوب الدم عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنَّه قال: **"إنَّ حواريَّ عيسى (ع) كانوا شيعته، وأنَّ شيعتَنا حواريونا، وما كان حواريِّ عيسى (ع) بأطوع له من حوارين لنا؛ وإنَّما قال عيسى (ع) للحواريينَ: من أنصاريّ إلى الله؟ قال الحواريونَ: نحنُ أنصارُ الله، فلا والله ما نصروه من اليهود، ولا قاتلوهم دونه، وشيعتُنا والله لم يزالوا منذ قبض الله – عزَّ ذكرهُ– رسولهُ (ص) ينصرونا، ويقاتلونَ دوننا ويُحرقونَ ويُعذبونَ ويُشرَّدونَ في البلدانِ جزاهم اللهُ عنَّا خيراً"**[3].

وعن رجاء بن يحيى العبرتائي الكاتب عن محمد بن خلَّاد الباهلي عن معاذ عن ابن عون عن هشام بن زيد عن أنس بن مالك أنَّه قال: **"سألتُ رسول الله (ص) عن حواريِّ عيسى (ع)؛ فقال: كانوا من صفوته وخيرته، وكانوا اثني عشرة مجرَّدين مكمثين في نصرة الله ورسوله، لا زهو فيهم ولا ضعف ولا شكَّ، وكانوا ينصرونه على بصيرةٍ ونفاذٍ وجدٍّ وعناءٍ. قلتُ: فمن حواريكَ يا رسول الله: فقال الأئمَّة من بعدي اثنا عشرة من صُلبِ عليٍ وفاطمة، هم حواريي وأنصارُ ديني عليهم من اللهِ التحيَّةِ والسلام"**[4].

١– المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، المصدر السابق، ج١٤، ص٢٧٣.

٢– الفخر الرازي: **التفسير الكبير**، ج٨، ص٦٣.

٣– الكليني، محمد بن يعقوب: **الكافي**، ج٨، ص٢٦٨.

٤– المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، ج٣٦، ص٣١٠.

وفي حديثٍ آخر عن أبي جعفر الباقر (ع) أنَّه قال: **"السابقون أربعة: ابن آدم المقتول، والسابق في أمَّةِ موسى وهو مؤمن آل فرعون، والسابق في أمَّة عيسى وهو حبيب النجَّار، والسابق في أمَّة محمد (ص) وهو علي ابن أبي طالب (ع)"**[1].

كما ورد لفظ الحواريين في السُنَّةِ النبويَّة من خلال أحاديث عن النبي محمد (ص) في وصف الحواريين عموماً، وبوصفهم خلفاء الأنبياء (ع) جميعاً وخاصتهم من اتباعهم على وجه التحديد؛ فعنه (ص) أنَّه قال: " **مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**"[2].

وهذه الأحاديث تشمل الحواريين من أصحاب عيسى (ع)؛ لأنَّ الله تعالى حين أخبرنا خبرهم في القران الكريم سمَّاهم الحواريين؛ وهو الوصف الذي وصف به النبي (ص) خواص أتباع الأنبياء (ع)، ولم يرد إلينا خبرٌ صحيح لا من القران الكريم ولا من سُنَّة النبي (ص) بأنَّ حواريِّ عيسى (ع) كانوا خلاف الوصف العام لخواص أتباع الانبياء (ع).

وبالإضافة الى ذلك؛ فإنَّ نصوص القرآن الكريم التي ذكرتْ الحواريين كانتْ بعمومها في معرفة إيمانهم وثباتهم ونصرتهم لنبيهم، وأمر الأمَّة بالاقتداء بهم في ذلك.

ثالثاً– رفعه الى السماء

الرفع ضد الوضع، ارتفع الشيءُ ارتفاعاً بنفسه إذا علا. قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿**وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ**﴾[3]؛ اي مُقرَّبة[4].

وذُكر الرفع في القرآن الكريم، إذ دلَّتْ الآيات الكريمة على أنَّ نبي الله السيد المسيح عيسى (ع) رُفع من الأرض إلى السماء بروحه وجسده، عندما أراد اليهود قتله وصلبه؛ لم يمكِّنهم الله منه. كما دلَّتْ الآيات القرآنيَّة — كذلك– على أنَّه سينزل إلى الأرض مرَّةً أخرى في آخر الزمان، وهي علامةٌ على قرب قيام الساعة.

١– المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، المصدر السابق، ج٦٦، ص١٥٦.

٢– النيشابوري، مسلم بن الحجاج: **الصحيح**، كتاب الإيمان، رقم الحديث: ٥٠.

٣– سورة الواقعة: الآية ٣٤.

٤– ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: **لسان العرب**، مصدر سابق، ج١، ص١٩٧.

يقول ابن كثير في تفسيره لسورة آل عمران: إنَّ ملأ بني إسرائيل همَّوا بالفتك بعيسى (ع)، وأرادوا به السوء والصلب حين تبلَّوا عليه، ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان، وكان كافراً، فاستثاروا غضب الملك؛ فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه وينكَّل به، فلمَّا أحاطوا بمنزله وظنَّوا أنَّهم قد ظفروا به؛ نجَّاه الله تعالى من بينهم، ورفعه من روزنة ذلك البيت إلى السماء، وألقى الله شبهته على الرجل الذي كان عنده في المنزل، فلمَّا دخل أولئك اعتقدوا في ظلمة الليل أنَّه عيسى (ع)؛ فأخذوه وأهانوه وصلبوه ووضعوا على رأسه الشوك، وكان هذا مكر الله بهم؛ لأنَّه نجَّى نبيه من كيدهم ورفعه من بين أظهرهم، وتركهم في ضلالهم يعمهون، فيعبَّر القرآن الكريم عن هذه الواقعة في قوله تعالى: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾[1].

كما أنَّهم يعتقدون قد ظفروا به، لأنَّ الله أسكن في قلوبهم قسوةً وعناداً للحقِّ؛ فكان ملازماً لهم؛ فأورثهم ذلةً لا تفارقهم إلى يوم التنادِ[2]. ولهذا قال الله تعالى عنهم في مُحكم كتابه الكريم: ﴿**وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[3].

وبناءً على ذلك؛ نجد أنَّ أهل البيت (ع) يتحدَّثون عن رفع السيد المسيح (ع) إلى السماء في الكثير من الروايات؛ فعن الحسن بن فضل الطبرسي في كتابه: (**مكارم الأخلاق**)، بسندٍ مُتَّصل عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن النبي الأكرم محمد (ص) علَّم عليَّاً وفاطمة (ع) هذا الدُعاء، وقال لهما: "إنَّ نزلتْ بكما مصيبةٌ، أو خفتما جورَ السلطان أو ضلَّتْ لكما ضالَّة؛ فأحسنا الوضوء، وصليا ركعتينِ، وارفعا أيدكما إلى السماء وقولا: **يا عالِمَ الْغَيْبِ وَالسَّرائِرِ، يا مُطاعُ يا عَليمُ، يا اَللَّهُ يا اَللَّهُ يا اَللَّهُ، يا هازِمَ الْاَحْزابِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، يا كائِدَ فِرْعَوْنَ لِمُوسى، يا مُنْجِيَ عيسى مِنَ الظَّلَمَةِ، يا مُخَلِّصَ قَوْمِ نُوحٍ مِنَ الْغَرَقِ، يا راحِمَ عَبْدِهِ يَعْقُوبَ، يا كاشِفَ ضُرِّ اَيُّوبَ، يا مُنْجِيَ ذِي النُّونِ مِنَ الظُّلُماتِ، يا فاعِلَ كُلِّ خَيْرٍ، يا هادِياً**

١- سورة النساء: الآية ١٥٧.

٢- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: **تفسير القرآن الكبير**، ج٢، مج٧، ص٤٦.

٣- سورة آل عمرن: الآية ٥٤.

اِلى كُلِّ خَيْرٍ، يا دالاً عَلى كُلِّ خَيْرٍ، يا اِمراً بِكُلِّ خَيْرٍ، يا خالِقَ الْخَيْرِ، يا اَهْلَ الْخَيْراتِ، أَنْتَ اللَّهُ رَغِبْتُ إِلَيْكَ فيما قَدْ عَلِمْتَ وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ، اَسْاَلُكَ اَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ؛ ثم اسئلا الحاجة تُجاب إنْ شاءَ الله"[1].

وكذلك قال أبو عبد الله الصادق (ع): ".... وأمَّا غيبة عيسى (ع)؛ فإن اليهود والنصارى اتفقوا على أنَّه قُتل، وكذَّبهم الله عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿... **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ**....﴾[2]؛ كذلك غيبة القائم (ع)؛ فإنَّ الأمَّة تنكرها لطولها"[3].

وعن حبيب بن عمرو أنَّه قال: **"لما توفى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)؛ قام ابنه الإمام الحسن (ع) خطيباً؛ فقال: أيُها الناس في هذه الليلة رُفع عيسى بن مريم"**[4].

وروي عن زيد بن علي بن الحسين (ع) أنَّه قال: "سألتُ أبي زين العابدين علي بن الحسين (ع)، فقلتُ له: يا أبه أخبرني عن معنى قوله عزَّ وجلَّ ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ**﴾[5]؛ يعني حجوا إلى بيت الله. يا بُني إنَّ الكعبة بيت الله؛ فمن حجَّ بيتَ الله؛ فقد قصد الله، والمساجد بيوت الله؛ فمن سعى إليها؛ فقد سعى إلى الله وقصد إليه، والمصلي مادام في صلاته فهو واقف بين يدي الله عزَّ وجلَّ؛ فإن لله تبارك وتعالى بِقاعاً في سماواته؛ فمن عرُج به إلى بقعةٍ منها؛ فقد عُرج به إليه، ألا تسمع الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**﴾[6]. ويقول الله عزَّ وجلَّ في قصة السيد المسيح عيسى بن مريم (ع): ﴿.... **بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**....﴾[7]. ويقول عزَّ وجلَّ"[8]: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ**﴾[9].

١- النوري، الميرزا حسين بن محمد بن محمد تقي: **مستدرك الوسائل**، مصدر سابق، ص٢٤١.

٢- سورة النساء: الآية ١٥٧.

٣- المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، مصدر سابق، ج٦٠، ص٢٢٠.

٤ -المصدر نفسه، ج١٤، ص٣.

٥- سورة الذاريات: الآية ٥٠.

٦- سورة المعارج: الآية ٤.

٧- سورة النساء: الآية ١٥٨.

٨- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: **من لا يحضره الفقيه**، مصدر سابق، ص٦٠٣.

٩- سورة فاطر: الآية ١٠.

وعن أبي عبد الله الصادق (ع) أنَّه قال: **"ينزل على القائم (ع) تسعة آلالف ملك وثلاث مائه وثلاث عشر ملكاً، وهم الذين كانوا مع عيسى (ع) لمَّا رفعهُ الله إاليه"**[1].

وعن الشيخ صالح أبو محمد الحسن عن الشيخ الصدوق عن أبيه عن محمد بن أبي القاسم، عن محمد بن أبي القاسم، عن محمد بن علي، عن محمد بن عبد الله بن مهران، عن صالح بن عقبه، عن زيد بن عبد الملك، عن أبي جعفر الباقر (ع) أنَّه قال: **"لمَّا صعد رسول الله (ص) إلى السماء؛ صعد على سريرٍ من ياقوتة حمراء مُكلَّلة من زبرجدةٍ خضراء تحمله الملائكة.... فلمَّا صُعد به إلى السماء السابعة لقيه عيسى (ع)؛ فسلَّم عليه وسائله عن عليٍ، فقال خلَّفته في أمتي، قال: نعم الخليفة خلَّفتَ. أما إنَّ الله فرض على الملائكة طاعته. ثمَّ لقيه موسى (ع) والنبيون، نبيٌ نبي؛ فكلَّهم يقول له مقالة عيسى (ع)"**[2].

رابعاً– بني إسرائيل

ورد في الأناجيل ما يدلُّ دلالة واضحة على أنَّ دعوة السيد المسيح (ع) كانتْ خاصَّة ببني إسرائيل، ومع ذلك؛ فقد ورد في إنجيل متى من إشارة إلى بُشارةٍ سابقة بنبوُّة السيد المسيح (ع)، نصُّها: **"وأنتَ يا بيتُ لحمٍ بأرضِ يهوذا، لستِ صغيرة الشأن أبداً بينَ حُكَّام يهوذا؛ لأنَّه منكِ يطلعُ الحاكم الذي يرعى شعبي إسرائيل"**[3].

وعن أنسٍ بن مالك أنَّه قال: قال رسول الله (ص): **"إنَّ بني إسرائيل تفرَّقتْ على عيسى (ع)، إحدى وسبعين فرَّقةً؛ فهلك سبعونَ فرَّقةٍ، وتخلَّص فرقةَ. وإنَّ أُمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، يهلك إحدى وسبعون ويتخلَّصُ فرَّقة؛ فقالوا: يا رسول الله مَنْ تلكَ الفرقة؟ قال: الجماعة، الجماعة، الجماعة"**[4].

وعن علي بن أحمد بن محمد عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي عن محمد بن أحمد بن إسماعيل العلوي عن علي بن الحسين بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب،

١– المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، مصدر سابق، ج١٤، ص٣٣٩.

٢– المصدر نفسه، ج١٨، ص٣٠٣.

٣– إنجيل متَّى، ٢: ٦

٤– الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: **الخصال**، ج٢، مصدر سابق، ص٥٨٤.

قال حدَّثنا علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر بن محمد (ع) أنَّه قال: "**المسوخ ثلاثة عشر، منهم القردة والخنازير. فأمَّا القردة؛ فكانوا قوماً ينزلون بلدةً على شاطئ البحر اعتدوا في السبت؛ فصادوا الحيتان؛ فمسخهم الله عزَّ وجلَّ قردةً. وأمَّا الخنازير؛ فكانوا قوماً من بني إسرائيل دعا عليهم عيسى بن مريم (ع)؛ فمسخهم اللهُ عزَّ وجلَّ خنازير**"[1].

وعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) أنَّه قال: "**ذمَّ اللهُ تعالى اليهود، وعاب فعلهم في كفرهم بمحمدٍ (ص)؛ فقال: بئسما اشتروا به أنفسهم؛ أي أشتروها بالهدايا والفضول. ثمَّ قال: فباءوا بغضبٍ على غضب؛ يعني رجعوا وعليهم الغضب من الله على غضبٍ في إثر غضب، والغضبُ الأوَّل حينَ كذَّبوا بعيسى بن مريم (ع)، والغضب الثاني حين كذَّبوا بمحمدٍ (ص)**"[2].

وحدَّثَ أبو الحسنِ أبي عبد الله، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله (ع) أنَّه قال: "**إنَّ موسى (ع) حدَّث قومه بحديثٍ لم يحتملوه عنه؛ فخرجوا عليه بمصر؛ فقاتلوه؛ فقاتلهم؛ فقتلهم. ولأنَّ عيسى (ع) حدَّث قومه بحديثٍ؛ فلم يحتملوه عنه؛ فخرجوا عليه بتكريت؛ فقاتلوه؛ فقاتلهم فقتلهم، وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿.... فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[3]**"[4].

وعن أبي حربٍ بن أبي الأسود الدؤلي، عن أبيه عن أبي ذرٍ الغفاري (رض) أنَّه قال: "**قال رسول الله محمد (ص) في ما أوصي إليه: يا أبا ذر: إنَّ اللهَ تعالى بعثَ عيسى بن مريم (ع) بالرُهبانيَّة، وبُعثتُ بالحنيفيَّة السمحة، وحبَّبَ إليَّ النساءَ والطيبَ، جُعلتْ في الصلاةِ قرَّة عيني**"[5].

١- يُنظر، الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: **علل الشرائع**، ج٢، ص٤٨٧؛ الحُرَّ العاملي: **وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة**، ج٢٤، ص١٢٤.

٢- تفسير الإمام العسكري، ص٤٠٣.

٣- سورة الصف: الآية ١٤.

٤- المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، مصدر سابق، ج١٤، ص٢٧٩.

٥- المصدر نفسه، ج٧٩، ص٢٣٣.

خامساً– نزول السيد المسيح (ع) إلى الأرض

إنَّ عقيدة المجيء الثاني للسيد المسيح عيسى بن (ع)، أو ما يُسمى في المسيحيَّة بـ(الرجاء المبارك) من المسائل المهمَّة التي تدخل في صُلب العقائد المسيحيَّة، إذ يستدلُ عليها النصارى من العهد الجديد بنصوص كثيرة، ولهم آراء ونظريَّات في مجيئه وفقاً للتفاسير المختلفة بين علماء الكتاب المقدَّس حول تلك النصوص.

ومن النصوص الصريحة حول هذا النزول؛ ما ورد في انجيل متي، حيث ذكر: "**وكما كانتْ أيامُ نوح، كذلك يكونُ أيضاً مجيء ابن الإنسانِ، لأنَّه كما كانَ في الأيامِ التي قبلَ الطوفانِ يأكلونَ ويشربونَ ويتزوجونَ ويزوجونَ إلى اليوم الذي دخلَ فيه نوحُ الفُلكَ، ولم يعلموا حتَّى جاءَ الطوفانُ وأخذَ الجميع، كذلكَ يكونُ أيضاً مجيءُ ابن الإنسان**"[1].

كما رُويتْ هذه المسألة في روايات أهل البيت (ع)، وفي الأحاديث النبويَّة كثيراً. وهناك روايات تُنقل عن الرسول الأكرم محمد بن عبد الله (ص)، ومنها: "**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم إمامكم منكم**"[2].

ويشيرُ في حديثٍ آخرٍ بقوله: "**فبينما هو كذلك؛ إذ هبط عيسى بن مريم (ع) شرقي دمشق عند المنارة البيضاء بين مهرودتينِ – أي غيمتينِ ملونتينِ– ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ، فيطلبُ الدجالَ؛ فيدركه بباب لدَّ فيقتله**"[3].

وعن القاسم بن محمد عن سلمان بن داود المنقري عن أبي حمزة عن شهر بن حوشب أنَّه قال: "قال لي الحجَّاج بن يوسف الثقفي بأنَّ أيةً في كتابِ الله قد أعيتني؛ فقلتُ: أيُها الأمير أيةَ آيةٍ هي؟ فقال قوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾[4]؛ والله إنِّي لأأمر باليهودي والنصراني فيُضرب عنقه؛ ثمَّ أرمقهُ بعينيَّ، فما أراه يحرِّك شفتيه حتَّى يخمد. فقلتُ: "أصلح الله الأمير ليس على ماتأوَّلتَ: قال: كيف هو؟ قلتُ: إنَّ

١– إنجيل متَّى، الإصحاح ٢٤: ٣٧– ٤٠.

٢– البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، جمع جوامع الأحاديث والأسانيد، ج٤، ص٢٠٥.

٣– سليمان، كامل: **يوم الخلاص في ظلِّ الإمام المهدي**، ص٢٨٩.

٤– سورة النساء: الآية ١٥٩.

عيسى (ع) ينزل قبل يوم القيامة إلى الدُنيا؛ فلا يبقى أهل ملَّة يهودي ولا نصراني إلَّا آمن به قبل موته، ويصلي خلف المهدي. قال: ويحك أنَّى لكَ هذا، ومن أينَ جئتَ به؟ فقلتُ: حدثني به محمد بن عليٍ الباقر (ع)، فقال: جئنا بها واللهِ من عينٍ صافية"[١].

وعن أبي اسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري أنَّه قال: **"حدَّثنا محمد بن إبراهيم الهاشمي، عن أبي جعفر أمير المؤمنين عبد الله بن محمدٍ، عن أبيه، عن ابن عباس أنَّه قال: قال رسول الله (ص): كيف تهلك أمُّةٌ أنا أوَّلها وعيسى بن مريم في أخرها، والمهدي في وسطها"**[٢].

وعن الشيخ أبو القاسم الطائي أنَّه قال: **"إنَّي سألت علي بن موسى الرضا (ع) عن من قاتلنا في أخر الزمان؛ فقال: من قاتل صاحَب عيسى بن مريم"**[٣].

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمدٍ الصادق (ع) أنَّه قال: **"عيسى بن مريم روح اللهِ وكلمتهُ، وكان عمره في الدُنيا ثلاثة وثلاثينَ سنة؛ ثمَّ رفعه الله إلى السماء، ويهبط إلى الأرض بدمشق، وهو الذي يقتلُ الدجال"**[٤]. ويُذكر في كتاب: (الصراط المستقيم) قول السيد المسيح عيسى بن مريم (ع) للمهدي: **"إنَّما بُعثتُ وزيراً ولم أُبعثُ أميراً"**[٥].

وعن أنس بن مالكٍ أنَّه قال: قال رسول الله محمد (ص): **"إنَّ بني إسرائيل تفرَّقتْ على عيسى إحدى وسبعينَ فرَّقةً؛ فهلكَ سبعونَ فرَّقةً، وتخلَّص فرَّقةً، وإنَّ أمتي ستفترقُ على اثنتين وسبعينَ فرَّقةً، يهلكُ إحدى وسبعونَ، ويتخلَّص فرَّقة، فقالوا: يا رسول الله من تلك الفرقة، قال: الجماعة، الجماعة، الجماعة"**[٦].

سادساً– دعاء السيد المسيح عيسى (ع)

١– يُنظر؛ القُمَّي، أبو الحسن علي بن إبراهيم: **تفسير القمي**،ج١، ص١٥٨؛ الطبري؛ محمد بن جرير: **جامع البيان في تفسير القرآن**، ج٣، ص١٨٨؛ والفخر الرازي: **التفسير الكبير**، ج٢، ص٥٢.

٢– الطبري، محمد بن جُرير: **دلائل الإمامة**، ص٢٣٤.

٣– الإمام علي بن موسى الرضا (ع): **صحيفة الرضا**، ص٨٩.

٤– القُمَّي، أبو الحسن علي بن إبراهيم: **تفسير القمي**،ج٢، ص٢٧١.

٥– النباطي البياضي؛ علي بن يونس: **الصراط المستقيم**، ج٢، ص٢٢٠.

١– الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: **الخصال**، ج٢، ص٥٨٤.

وروي من كتابِ: (المستغيثين): "**إنَّ شخصاً حبسه بنو أمية؛ فرأى السيد المسيح عيسى بن مريم (ع) في منامه؛ فعلَّمهُ هذه الكلمات؛ ففرَّج اللهُ عنه باقي يومه، وهي: لا إله الَّا الله الملك الحقّ المبين**"[1].

ومن الأدعية المروية عن السيد المسيح عيسى (ع): "**اللهم أنتَ إلهُ مَنْ في السماءِ وإلهُ مَنْ في الأرضِ لا إلهُ فيها غيركَ، ,وأنتَ حكيمُ مَنْ في السماءِ وحكيمُ مَنْ في الأرضِ لا حكيمُ فيها غيركَ، وأنتَ ملكُ مَنْ في السماءِ وملكُ مَنْ في الأرضِ لا ملكُ فيها غيركَ، قدرتُكَ في السماءِ كقدرتِكَ في الأرضِ وسلطانُكَ في السماءِ كسلطانِكَ في الأرضِ أسألُكُ باسمِكَ الكريمِ ووجهكَ المُنير وملكِكَ القديم أنْ تفعلَ بي كذا وكذا**"[2].

وقد ورد دعاءُ السيد المسيح عيسى بن مريم (ع) كثيراً على لسان أهل البيت (ع)؛ فعن الإمام جعفرٍ بن محمد الصادق (ع) أنَّه قال: ورد في الإنجيل: إنَّ عيسى (ع) قال: "**اللهم ارزقني غدوةً رغيفاً من شعير، ومن عشيةٍ رغيفاً من شعير، ولا ترزقني فوق ذلك فأطغى**"[3].

ومن ذلك دعاء أصف بن برخيا وزير النبي سليمان بن داود (ع) ووصيَّه؛ أنَّه حينما أتى بعرش بلقيس؛ أنَّه دعى بذات الدعاء الذي كان قد دعى به السيد المسيح عيسى بن مريم (ع) فيما بعد، وهو الدُعاء الذي كان يحيي به الموتى؛ ونصَّهُ: "**اللهم أنِّي أسألُكَ بأنَّك أنتَ اللهُ لا إله إلَّا أنتَ الحيُّ القيوم الطاهر المُطَهِر نور السماوات والأرضِ**". وفي حديثٍ آخر: "**ربُّ السماواتِ والأرضينَ، عالمُ الغيبِ والشهادة، الكبير المتعال، الحنَّانُ المنَّان ذو الجلالِ والإكرام ....**"[4].

وفي روايةٍ أخرى؛ أنَّ رجلاً شكى إلى السيد المسيح (ع) ديناً عليه؛ فقال له: "**قُلْ اللهم يا فارجُ الهمَّ، ومنفِّسُ الغمَّ، ومُذهبُ الأحزانَ، ومُجيبُ دعوةَ المُضطرينَ، ورحمنُ الدُنيا**

١- الكفعمي، إبراهيم بن علي: **المصباح**، ص١٧٩.

٢- المعتزلي، ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، ص١٨٧.

٣- المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، مصدر سابق، ج١٤، ص٣٢٦.

٤- المصدر نفسه، ج٩٢، ص١٧٥.

والآخرة ورحيمهما، أنتَ رحماني ورحمانُ كُلَّ شيءٍ، فارحمني رحمةً تُغنيني بها عن رحمةِ من سواكَ، وتقضي بها عني الدينَ، فلو كانَ عليكَ ملء الأرض ذهباً لأدَّاهُ اللهُ عنكَ بمنه"[1].

سابعاً– ما أوحى به اللهُ إلى النبي عيسى بن مريم (ع)

أوحى الله إلى عيسى بن مريم (ع): **"يا عيسى إنِّي لا أنسى من ينساني؛ فكيف أنسى من يذكرني، أنا لا أبخلُ على من عصاني؛ فكيف أبخلُ على من يطيعني"**[2].

وعن عبد الله بن عمر، عن بعض أصحابنا، عن رجلٍ حدَّثه عن جعفر بن محمدٍ الصادق (ع) أنَّه قال: **"رُفع عيسى بن مريم (ع) بمدرعةِ صوفٍ من غزلِ مريم ومن نسج مريم ومن خياطة مريم؛ فلمَّا انتهى إلى السماء نودي: يا عيسى ألف عنك زينة الدنيا"**[3].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) أنَّه قال: **"أوحى الله إلى عيسى (ع): قل لبني إسرائيل لا تدخلوا بيتاً من بيوتي إلَّا بأبصارٍ خاشعةٍ، وقلوبٍ طاهرةٍ وأيدٍ نقيةٍ، وأخبرهم إنِّي لا أستجيب لأحدٍ منهم دعوة، ولأحدٍ من خلقي عليه مظلمة، وفي الوحي القديم: لا تملَّ من الدعاء؛ فأنَّي لا أملُّ من الإجابة"**[4].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله جعفر بن محمدٍ الصادق (ع) أنَّه قال: **"أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم (ع): يا عيسى هبْ لي من عينكَ الدموع، ومن قلبكَ الخشوع، وأكحل عينكَ بميلِ الحُزنِ إذا ضحك البطَّالون، وقمْ على قبورِ الأمواتِ؛ فناداهم بالصوت الرفيع لعلَّكَ تأخذ موعظتكَ منهم، وقلْ: إنِّي لاحقٌ بهم في اللاحقين"**[5].

وأيضاً عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن أسباطٍ، عن عبد الرحمن بن حمادٍ، أنَّه قال: **"قال الله تبارك وتعالى لعيسى بن مريم (ع): يا عيسى ليكنْ لسانَكَ في السرِّ والعلانيَّة**

١– النوري، الميرزا حسين بن محمد بن محمد تقي: **مستدرك الوسائل**، ص٢٨٩.

٢– الشعيري، تاج الدين: **جامع الأخبار**، ج١، ص١٨٠.

٣– المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، ج١٤، ص٣٣٨.

٤– المصدر نفسه، ج٩٠، ص٣٧٣.

٥– المصدر نفسه، ج٧٩، ص١٧٨.

لساناً واحداً، وكذلك قلبكَ إنَّي أحذركَ نفسكَ وكفى بيَ خبيراً، لا يصلح لسانانِ في فمٍ واحدٍ، ولا سيفانِ في غمدٍ واحدٍ، ولا قلبانِ في صدرٍ واحدٍ، وكذلك الأذهان"[1].

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن أسباط عنهم (ع) قال: فيما وعظ اللهُ عزَّ وجلَّ به عيسى (ع): **"يا عيسى أنا ربُّكَ وربُّ آبائكَ، إسمي واحد، وأنا الأحد المتفرَّد بخلقِ كُلَّ شيءٍ، وكُلَّ شيءٍ من صُنعي، وكُلٌّ إليَّ راجعون. يا عيسى: أنتَ المسيح بأمري، وأنتَ تخلقُ من الطينِ كهيئةِ الطيرِ بإذني، وأنتَ تحيي الموتى بكلامي، فكنْ إليَّ راغباً، ومني راهباً، ولنْ تجد مني ملجأً إلَّا إليَّ. يا عيسى: أوصيكَ وصيةَ المتحنَّن عليكَ بالرحمةِ حتَّى حقَّتْ لكَ مني الولاية بتحرِّيك مني المسرَّة؛ فبوركتَ كبيراً، وبوركتَ صغيراً حيثما كُنتَ، أشهدُ أنَّكَ عبدي ابن أمتي، أنزلني من نفسكَ كهمِّكَ، واجعل ذكري لمعادكَ، وتقرَّب إليَّ بالنوافل، وتوكَّل عليَّ أكفِكَ، ولا توكَّل على غيري فأخذلكَ"**[2].

ثامناً– أفعال السيد المسيح عيسى بن مريم (ع):

من الأمور التي استدلوا بها على ألوهيَّة السيد المسيح (ع)؛ هي أفعاله ومعاجزة؛ فهو فعل تلك المعجزات بقوَّته وقدرته المستقلة، وحين فعلها نسبها إلى نفسه فقط؛ بل أعطى تلك السُلطة إلى التلاميذ والرُسل"[3]. وهذا ما يميِّزه عن بقية الأنبياء (ع) الذين صنعوا المعجزات؛ لأنَّهم صنعوها لا بقدرتهم وقوَّتهم الشخصيَّة؛ بل بقدرة الله سبحانه وتعالى.

في حين أنَّ روايات أهل البيت (ع) بيَّنتْ أنَّ أفعاله ليست مُستقلَّة عن قدرة الله؛ فعن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (ع) أنَّه قال: **"خرج عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا (ع) إلى البرِّية؛ فسمعا صوت وحشية؛ فقال المسيح (ع) يا عجباً ما هذا الصوت؟ فقال يحيى: هذا صوت وحشيَّة تلد؛ فقال عيسى (ع) انزلْ سرحاً سرحاً بإذن الله"**[4].

١– الكليني، محمد بن يعقوب: **الكافي**، ج٢، ص ٣٤٣.

٢– المصدر نفسه، ج٨، ص١٣١.

٣– جيمس، دنس: **نظام التعليم في علم اللاهوت القديم**، ج١، ص٣٤٦.

٤– ابن بسطام، عبد الله: **طب الأئمَّة (ع)**، ص٩٨.

وعن ابن البراقي، عن أبيه، عن جده، عن محمد بن علي القريشي، عن محمد بن سنانٍ، عن عبد الله بن طلحة، وإسماعيل بن جابر، وعمار بن مروان، عن الإمام جعفر الصادق (ع) أنَّه قال: "**إنَّ عيسى بن مريم (ع) توجَّه في بعض حوائجه ومعه ثلاثة نفرٍ من أصحابه؛ فمرَّ بلبناتٍ ثلاثٍ من ذهب على ظهر الطريق؛ فقال (ع) لأصحابه: إنَّ هذا يقتل الناس؛ ثمَّ مضى: فقال أحدهم إنَّ لي حاجة، قال: فانصرف؛ ثمَّ قال الآخر: إنَّ لي حاجة؛ فانصرف؛ ثمَّ قال الآخر: لي حاجة؛ فانصرف؛ فوافوا عند الذهب ثلاثتهم؛ فقال: اثنان لواحدٍ: اشتر لنا طعاماً؛ فذهب يشتري لهما طعاماً؛ فجعل فيه سمَّاً ليقتلهما كيلا يشاركاه في الذهب، وقال الاثنان: إذا جاء قتلناه كي لا يشاركنا؛ فلمَّا جاء قاما إليه؛ فتلاه؛ ثم تغذيا؛ فماتا؛ فرجع إليهم عيسى (ع)، وهم موتى حوله؛ فأحياهم بأذن الله تعالى؛ ذكره ثمَّ قال: ألم أقل لكم أنَّ هذا يقتل الناس**"[1].

وأيضاً عن علي بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن علي بن الحكم، عن ربيع بن محمد، عن عبد الله بن سليم العامري، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) أنَّه قال: "**إنَّ عيسى بن مريم جاء إلى قبر يحيى بن زكريا (ع)، وكان سأل ربَّه أنْ يحييه له؛ فدعاه فأجابه، وخرج إليه من القبر؛ فقال له ما تريد مني؟ فقال له: أريد أنْ تؤنسني كما كُنتَ في الدنيا؛ فقال له يا عيسى، ما سكنتْ عني حرارةُ الموتِ، وأنت تريد أنْ تعيدني إلى الدنيا، وتعود عليَّ حرارةُ الموتِ؛ فتركه؛ فعاد إلى قبره**"[2].

ويذكر – أيضاً– الإمام الحسن العسكري (ع): "**أليس إحياء عيسى بن مريم (ع) الميتَ معجزة؟ أهي للميت أم لعيسى؟ أوليس خلق من الطينِ كهيئة الطير؛ فصار طيراً بإذن الله معجزة؟ أهي للطائر أو لعيسى؟ أوليس الذين جُعلوا قردة خاسئين معجزة؟ أهي للقردة أو لنبي ذلك الزمان؟**"[3].

١– المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، مصدر سابق، ج١٤، ص٢٨٤.

٢– الكليني، محمد بن يعقوب: **الكافي**، ج٣، ص٢٦٠.

٣– تفسير الإمام العسكري، ص٣١٩.

وعن الإمام جعفر الصادق (ع): **"إنَّ رجلاً جاء إلى عيسى (ع)؛ فقال له: يا روح الله إنَّي زنيتُ فطهَّرني؛ فأمر عيسى أنْ يُنادى في الناس، لا يبقى أحد إلَّا خرج لتطهير فلانٍ؛ فلمَّا اجتمع واجتمعوا، وصار الرجلُ في الحفرة، نادى الرجلُ: لا يحدَّني من لله في جنبه حدّ؛ فأنصرف الناس كُلُّهم إلَّا عيسى ويحيى (ع)؛ فدنى منه يحيى؛ فقال له: يا مذنب عظني؛ فقال له: لا تخلينَ بين نفسكَ وبين هواها فترديكَ، قال: زدني، قال: لا تعيرنَ خاطئاً بخطيئة، قال: زدني، قال: لا تغضب، قال: حسبي"**[1].

وقال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع): **"إنْ شئتَ قُلتَ في عيسى بن مريم (ع)؛ فلقد كان يتوسَّد الحجر، ويلبس الخشن، ويأكل الجشب، وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرضِ ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبتُ الأرضُ للبهائم، ولم تكنْ له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذلَّه. دابته رجلاه، وخادمه يداه"**[2].

ثامناً– محادثة السيد المسيح (ع):

وردتْ أحاديث عيسى (ع) في روايات أهل البيت (ع) في كثيرٍ منها. فعن أحمد بن محمد اليرقي، عن شريف بن سابقٍ، عن الفضل بن أبي قُرَّةٍ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمدٍ الصادق (ع) أنَّه قال: **"قال رسول الله (ص) قال الحواريون لعيسى يا روح الله من نجالس؟ قال من يذكَّركم الله رؤيته، ويزيد في عملكم منطقه، ويرغِّبكم في الآخرة عملهَ"**[3].

وعن الإمام جعفر بن محمدٍ الصادق (ع) أنَّه قال: **"قيل لعيسى بن مريم (ع) مالك لا تتزوج؟ فقال وما أصنع بالتزويج ؟ قالوا يولد لك، قال: وما أصنع بالأولاد؟ إنْ عاشوا فتنوا، وإنْ ماتوا أحزنوا"**[4]. وإنَّ حواريي عيسى (ع) شكو إليه ما يلقون من الناسِ؛ فقال: **"إنَّ**

١– الصدوق، محمد بن علي بن الحسين: **من لا يحضره الفقيه**، مصدر سابق، ج٣، ص٣٣.

٢– المعتزلي، ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، ج١، ص٢٢٧.

٣– الكليني، محمد بن يعقوب: **الكافي**، ج١، ص٣٩.

٤– الصدوق، محمد بن علي بن الحسين: **من لا يحضره الفقيه**، مصدر سابق، ج٣، ص٥٥٨.

المؤمنين لايزالون في الدنيا مُبغضين"[1]. وعن الصادق (ع) أيضاً أنَّه قال: **"إنَّ الحواريون شكو إلى عيسى بن مريم (ع) ما يلقون من الناس؛ فقال: "إنَّ المؤمنين لم يزالوا مُبغضين في الناس كحبةِ القمح، ما أحلى مذاقها وأكثر أعداءها"**[2].

وعن سعد عن بن يزيد، عن ابن أبي عمير عمَّا ذكره عن أبي عبد الله جعفر بن محمدٍ الصادق (ع) أنَّه قال: **"إنَّ إبليس قال لعيسى بن مريم (ع): أيقدر ربُّكَ على أنْ يدخل الأرض ببيضة، لا تصعر الأرض ولا تكبر البيضة؟ فقال عيسى (ع): ويلك إنَّ الله لا يوصف بعجزٍ، ومن أقدر ممَّنْ يلطَّف الأرض، ويعظَّم البيضة"**[3].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) أنَّه قال: **"قال الحواريون لعيسى بن مريم (ع) يا معلم الخير علمنا أيُّ الأشياء أشدّ؛ فقال: أشدُّ الأشياء غضب الله عزَّ وجلَّ، قالوا: فبم يتَّقي غضب الله؟ قال: بأنْ لا تغضبوا، قالوا: وما بدء الغضب؟ قال: الكبر والتجبُّر ومحقرة الناسِ"**[4].

عن ابن المغيرة، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله (ع) أنَّه قال: **"تمثَّلتْ الدُنيا لعيسى (ع) في صورة امرأة زرقاء؛ فقال لها: كم تزوجتي؟ قالتْ كثيراً، قال: فكُلٌّ طلقكِ؟ قالتْ: بل قتلتُ، قال: فويح أزواجكَ الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين"**[5].

وقال السيد المسيح عيسى بن مريم (ع): **"جالسوا من تذكِّركم الله رؤيته ولقاؤه، فضلاً عن الكلام، ولا تجالسوا من يوافقه ظاهركم، ويخالفه باطنكم، فإنَّ ذلك المُدَّعي بما ليس له إنْ كُنتم صادقين في استفادتكم، فإذا لقيتَ من فيه ثلاث خصال؛ فاغتنم رؤيته ولقاءه ومجالسته ولو لساعة؛ فإنَّ ذلك يؤثَّر في دينكَ وقلبكَ وعبادتكَ بركاته: قوله لا يجاوز فعله، وفعله لا يجاوز صدقه، وصدقه لا ينازع ربَّه فجالسه بالحرمة، وانتظر الرحمة والبركة،**

١- المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، مصدر سابق، ج٧٨، ص١٩٤.

٢- الطبرسي، أبو الفضل علي بن الحسن: **مشكاة الأنوار**، ص٢٨٦.

٣- المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، مصدر سابق، ج٤، ص١٢٤.

٤- المصدر نفسه، ج٤، ص٢٨٧.

٥- المصدر نفسه، ج١٤، ص٣٣٠.

واحذر لزوم الحُجَّة عليكَ، وراعِ وقته كيلا تلموه فتخسر، وانظر إليه بعين فضل الله عليه، وتخصيصه له، وكرامته إيَّاه"[1].

وعن الحميري، عن ابن هاشم، عن ابن ميمون، عن جعفر بن محمد، عن أبائه، عن علي بن أبي طالب (ع) أنَّه قال: **"قال عيسى بن مريم (ع) طوبى لمنْ كان صمته فكراً، ونظره عابراً، ووسعه بيته وبكى على خطيئته، وسلِم الناسُ من يده ولسانه"**[2].

١- المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، المصدر السابق، ج١٤، ص٣٣٠.

٢- المصدر نفسه، ج٩٠، ص٣٣٣.

المبحث الثالث

علاقة السيد المسيح (ع) بقضيَّة الإصلاح الحُسيني

إنَّ الإصلاح الذي قام به الأنبياء (ع) منذ خُلقَ البشر؛ لا يختلف مضمونه وحقيقته عبر الزمان؛ لأنَّ المنشأ واحد والأهداف والغايات واحدة، فهم (ع) جميعاً مُرسَلون من الله سبحانه وتعالى، ولكنَّ الاختلاف في الوسائل التي ترسم وتبرز الإصلاح عبر الزمان.

كما أنَّ لكُلِّ واحدٍ من الأنبياء السابقين (ع) دورهُ الخاصّ في الإصلاح بحسب الظروف المحيطة به، غير أنَّنا نجد الإصلاح الذي قدَّمهُ الإمام الحسين (ع) للأُمَّة وللبشريَّة، إذ حاز على نسبةٍ أكبر من الاهتمام والتركيز في الفكر الديني، بل والفكر الإنساني بعمومه.

ومن هنا يُثار سؤالٌ مفاده: لماذا كُلُّ هذا الاهتمام والتركيز على ثورة الإمام الحسين (ع) من دون غيرها من الثورات والحركات الإصلاحيَّة؟

إنَّ نهضة الإمام الحسين (ع) حازتْ على ميَّزاتٍ ومقوَّماتٍ جعلتها تمتاز على جميع الحركات الإصلاحيَّة الدينيَّة، وذلك للظروف الشائكة التي كانتْ تلمُّ بالمجتمع الإسلامي والإنساني آنذاك؛ ممَّا جعل الإصلاح في تلك النهضة المباركة يعزَّز دور جميع الأنبياء السابقين والأئمَّة اللاحقين، ويمثِّله ويحفظه، وهذا يتَّضح جلياً عند معرفة الظروف التي كانتْ سائدة، والطُرق التي استخدمها العدو؛ فبنو أُميَّة وقوى الشرِّ استغلوا جميع الأساليب التي استخدمها الأنبياء (ع) في إصلاح المجتمع لخدمة مصالحهم الدنيئة وغاياتهم الشيطانيَّة، ممَّا جعل الأمور تلتبس على عموم الناس مكوِّنة الحيرة في نفوسهم، وعدم الوضوح، وخلط الحقَّ بالباطل؛ وبالتالي ضياع الصراط المستقيم، وبذلك يتحقق الهدف الشيطاني: ﴿**لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[1].

وللأمام الحسين (ع) رؤية في مشروعه الإصلاحي الإسلامي تذهب إلى المطالبة بكُلِّ تلك المبادئ الإنسانيَّة الراقية، أي: الحُريَّة، والعدل، والعلم، على اعتبار إنَّ كُلَّ هذه المبادئ والقوانين الاجتماعيَّة المحترمة جاءتْ من ضمن المشروع الإصلاحي الإسلامي العام أوَّلاً في رسالة الرسول الأعظم محمد (ص)، لأنقاذ المجتمع من خزي الذل والتردِّي والانحطاط الحضاري إلى عزِّ الرُقي

١- سورة ص: الآية ١٠٧.

والتقدُّم والنهضة وبناء الإنسان؛ إلَّا أنَّه بفعل بعض العوامل السياسيَّة والأخرى العقديَّة؛ كانتْ هناك انحرافة قوية جداً عن تلك المبادئ الإسلاميَّة والإنسانيَّة العامَّة في زمن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، ممَّا دفعه بالنهضة والمطالبة بمشروعٍ إصلاحي شامل يعيد بوصلة الرؤية الإسلاميَّة من مسارها المنحرف إلى سكتها الأصيلة في احترام هذه المبادئ البشريَّة التي لو فُقدتْ لفُقد الإسلام نفسه شرعيَّته اللاهوتيَّة من جهة؛ ولفُقد الإسلام – أيضاً– نهضته التقدميَّة لتطوير حياة الاجتماع الإنساني من جانبٍ آخر[1].

كما أنَّ الإصلاح من الأهداف الأساسيَّة لنهضة الإمام الحسين (ع)؛ وأبرز بواعث هذه النهضة قائم في مبدأ النهضة وفي الغاية منها. والإصلاح علَّة سببيَّة وعلَّة غائيَّة للنهضة، وإذا قُلنا بسنخيَّة العلَّة والمعلول ووحدتهما؛ سوف نجدُ أنَّ الإصلاح يدور مع نهضة الإمام الحسين بن علي (ع) في عاشوراء، كيفما هذه النهضة تدور.

والمعنى المقصود من الإصلاح في ثورة الإمام الحسين (ع)؛ هو المعنى القرآني؛ وميتافيزيقا هذا الإصلاح هي الإسلام في أصوله وعقائده: **التوحيد، النبوُّة، العدل، الإمامة، والمعاد.** وموقع الإصلاح الحُسيني من النظريَّات والتجارب الإسلاميَّة في الإصلاح؛ يرتبط بمعناه القرآني وميتافيزيقاه التوحيديَّة، ولذلك كانتْ مكانته مُرتبطة بدورها، وبما اختاره الله سبحانه وتعالى من دورٍ للأنبياء والأولياء (ع)، ومن دورٍ ومكانة النبوُّة المحمديَّة الخاتمة، والولاية العلويَّة حتَّى ظهور الإمام الحُجَّة محمد بن الحسن ليتمَّ الإصلاح بالمعنى القرآني الظاهر منه والباطن، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئتْ ظُلماً وجوراً. كما أنَّ إصلاح الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)؛ هو ذات النوع من الإصلاح الإلهي.

ولذا؛ نجد أنَّ ثورة الإمام الحسين (ع) كانتْ حركة إصلاحيَّة شاملة، وكان مجاهدي هذه الثورة من انتماءاتٍ ومجتمعاتٍ مختلفة. وهناك روابط تاريخيَّة بين السيد المسيح عيسى بن مريم (ع)، وبين الإمام الحسين بن علي (ع)، وإلى جانب هذه الروابط؛ لم يتنصَّل النصارى عن

١- شقير، محمد: **الإصلاح الديني في ثورة الإمام الحسين** (ع)، ص٤٤.

جذورهم الأخلاقيَّة والإنسانيَّة؛ لأنَّ الديانة المسيحيَّة ديانةٌ سماويَّةٌ هدفها المحبَّة والتمسُّك بالفضائل. والنصارى أقربُ الناس مودَّة للمسلمين[١].

يقول الدكتور أنطوان بارا: "إنَّ الفكر العربي المسيحي يقدِّس آل البيت (ع) كالمسلم، وأخذه لأيةِ حادثةٍ تاريخيَّةٍ تخصُّ العلم الإسلامي الذي يعيش فيه؛ يهدف إلى الحيدة، مبتغياً الواقع باحثاً عن المنطق والرؤى العقلانيَّة، وفي هذا له أسبابٌ منها: إنَّ الفكر المسيحي العربي يستمدُّ تراثه الفكري من تراثٍ عربيٍ إسلامي، ويتعرَّض لنفس التيارات الفكريَّة والروحيَّة التي يتعرَّض لها، ويعي كُلَّ حادثةٍ تاريخيَّة نتيجة تشرُّبه لها من خلال المعلومات، أو لاتصاله بظواهرها"[٢].

وكربلاء أو معركة الطفِّ حقيقةً يُنظر إليها بالنسبة للمسلمين، وخصوصاً المسلمين الشيعة ليستْ كحدثٍ تاريخي فقط؛ وإنَّما هي حدثٌ كوني يدور حوله كُلُّ التاريخ، ويدور حوله بالتأكيد ما هو قبل حادثة الطفِّ، وما هو بعد حادثة الطفِّ. وفي ناموس ووجدان الإنسان الشيعي؛ فهذا الحدث له أهميَّةٌ قصوى، وله أهمية كونيَّة عظيمة الأثر.

وأحد الدروس المهمَّة التي نستخلصها من واقعة الطف الأليمة؛ هي إنَّ هذه الواقعة لم تقتصر على طائفةٍ أو دينٍ؛ فهناك أُناسٌ عرفوا الحقَّ؛ فاتبعوه وضحَّوا من أجله، وكان جزاءهم أنْ خلَّدهم التاريخ، ومن هذه الأسماء الراهب المسيحي الذي أعطى ماله ليحتفظ برأس الحسين في دير تعبُّده، وأيضاً (وهب النصراني الكلبي)[٣] الذي أنظمَّ إلى جيش الإمام الثائر للقتال وللنصرة معه؛ وشاركته أُمَّه في ذلك. واستشهاد وهب الكلبي عبَّر حقيقةً عن التعايش الذي كان موجوداً في المنطقة، وعن الصداقة التي كانتْ تربط الإمام الحسين بجيرانه، وبالمسيحيين الذين كانوا موجودين في المنطقة. وهذا الاستشهاد يعبَّر عن هذا التعايش على اعتباره قبل أنْ يكون مسلماً أو مسيحيَّاً؛

١- العسقلاني، ابن حجر: **الصواعق المحرقة**، مصدر سابق، ص١١٩.

٢- بارا، انطوان: **الحسين في الفكر المسيحي**، مرجع سابق، ص٥٥.

٣- **وهب الكلبي**: هو وهب بن عبد الله بن حُباب الكلبي، وهو من نصارى الكوفة- منطقة القادسيَّة من ضواحي الكوفة؛ وهو من شُهداءِ واقعة كربلاء؛ ومن الشخصيَّات التي يُحتذى بها. آمن بالإسلام مع أمَّه على يد الإمام الحسين (ع)؛ ولازمه حتَّى استشهد معه في كربلاء. وكان لقاءه بالحسين (ع) صدفة في الطريق صوب الكوفة؛ وذهب معه إلى كربلاء. يُراجع المجلسي؛ محمد باقر: **بحار الأنوار**، ج١٨، مصدر سابق، ص٥١٩.

كانوا أصدقاء وكانتْ تربطهم رابطة الصداقة ورابطة الأمانة، التي أدَّتْ بوهب وبوالدته أنْ يعطيا حياتهما من أجل صداقتهما للإمام الحسين؛ فهذا من الجانب الإنساني.

أمَّا من جانبٍ آخر، وهو جانب الدفاع عن المظلوم؛ فبحسب الرواة كان عند وهب وأُمّه نوعٌ من الشعور بأنَّ هناك ظلماً يقع على الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) وعائلته، وكانا يشعران بأنَّه فعلاً من واجبهما أنْ يقوما بمساعدة الإمام الحسين (ع)، بل لا بدَّ من إعطاء حياتهما من أجله، ومن أجل قضيته الخالدة.

ومن المسيحيين الذين شاركوا الإمام الحسين (ع) في ثورة الإصلاح؛ هو جون بن حوي[1]، إذ إنَّ المصادر التاريخيَّة التي تعرَّضتْ لذكره؛ لم تتطرَّق لبيان سيرة حياته التفصيليَّة، غير أنَّها تطرَّقتْ – إجمالاً– لبيان دوره النبيل في نصرة الحقِّ وأهله، وخصوصا في ملحمة الطفِّ التي بذل فيها كُلَّ ما يملك في خدمة ثورة الإصلاح، ونصرة القائد المصلح، وهذا بحدِّ ذاته يكفي في كشف هوية هذا البطل الذي وصل إلى مقام أصحاب الإمام الحسين (ع)، وخُتمتْ حياته بالشهادة الميمونة في طريق الإصلاح.

كيف يرى الفجَّارُ ضربَ الأسودِ

بالمشرفيِّ القاطعِ المهندِ

أحمي الخيارَ من بني محمدٍ

أذبُّ عنهم باللسانِ واليدِ

١- **جون بن حوي**: هو جون مولى أبي ذر الغفاري، جاء ذكره في زيارة الناحية المقدسة بـ: "**اَلسَّلَامُ عَلَى جَوْنٍ مَوْلَى أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ**". كان سيدنا جون عبداً مملوكاً للفضل بن العباس بن عبد المطَّلب، اشتراه أمير المؤمنين (ع) بمائة وخمسين ديناراً، ووهبه لأبي ذر الغفاري، وكان عنده متحمِّلاً معه الكثير من الصعوبات التي مرَّ بها أبو ذر الغفاري، والتي آخرها كانتْ محطَّة نفي الربذة، فقد خرج إليها معه ولازمه إلى أنْ توفي أبو ذر سنة ٣٢ هـ، حينها رجع جون إلى أمير المؤمنين علي (ع)، بعد أنْ تأهَّل في مدرسة أُستاذه الجليل أبو ذر الغفاري، وبقي جون مع أمير المؤمنين (ع) حتَّى شهادته؛ ثمَّ إلى الإمام الحسن (ع)؛ ثمَّ إلى الإمام الحسين (ع). وذكره المحقَّق الاستر آبادي في رجاله: جوين بن مالك التميمي من أصحاب الحسين بن علي (ع) قُتل معه بكربلاء. وقال ابن عساكر في تاريخه: هو جوين بن مالك بن قيس بن ثعلبة التميمي له ذكر في المغازي والحروب. وقال صاحب الحدائق الورديَّة وصاحب ابصار العين: كان جوين نازلاً من بني تميم؛ فخرج ممَّن خرج إلى حرب الحسين (ع)؛ وكان من الشيعة؛ فلما رأى جوين بن مالك، ردَّتْ الشروط على الحسين (ع) مال معه فيمن مال من عشيرته، ورحلوا إلى الحسين (ع) ليلاً، وكان عددهم سبعة. الزركلي؛ خير الدين: **الأعلام**، مصدر سابق، ج١٣، ص٢٠٢.

أرجو بذاك الفوزَ يوم المورِدِ

من الإلهِ الواحدِ الموحَّدِ

انطلق هذا الصوت بهذه الأبيات من ذلك العرق النابض بحب الإمام الحسين (ع)، إنَّه الضمير الحي الذي آثر أنْ يخط بدمه صفحةً خالدة في التضحية، والإباء، والحُريَّة في سجل التاريخ[1]، إنَّه صوت جون بن حوي مولى أبي ذر الغفاري (رض)، العبد الأسود الذي نال أعلى درجات الحُريَّة والكرامة في وقوفه ذلك الموقف الخالد في الدفاع عن سيد الأحرار الإمام الحسين وأهل بيته (ع) حتَّى استشهد في كربلاء.

لقد تيقَّن هذا العبد معنى الحُريَّة الحقيقي الذي دعا إليه سيد الشهداء (ع) في نهضته المباركة في قوله: "إنِّي لا أرى الموت إلَّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلَّا برماً". لقد أستوعب جون هذا المعنى العظيم، والهدف السامي، فأطلق صوته بتلك الأبيات أمام من أحنوا رقابهم، وقبعوا في زاوية الذل والخنوع والانحناء لبني أمية، خاطب (عبيد الدنيا) كما وصفهم الإمام الحسين (ع) بتلك الأبيات معلناً عن نفسه الحرة الأبيَّة، وكاشفاً عن حُريَّتهم المزيفة التي تقبع أمام أصنام بني أمية، إنَّه صوتٌ من أصوات الشهداء الخالدين، وعلمٌ من أعلام الطفِّ.

إذاً شارك النصارى العرب في الحركة الحُسينيَّة، واستشهادهم هذا مع الإمام الحسين بن علي (ع) يوم كربلاء كان حدثاً نوعيَّاً بحدِّ ذاته؛ ولكنَّه كان مُقدَّراً له أنْ يكون لكي تعطي التجربة الإسلاميَّة– المسيحيَّة الدرس الأبلغ في كيفيَّة تعميق أواصر الترابط المشترك الديني الكبير، وأنَّ شهادة وهب، وكذلك جون المسيحيين، واستبسالهما بالطريقة التي تمَّتْ يوم العاشر؛ ما هي إلَّا رسالة إنسانيَّة، ومثال لهذا الترابط المشترك بين الديانتين.

كما أنَّ التقاء الفكر بين الدين الإسلامي والمسيحي في قضية تُعدُّ من أهم القضايا العقائديَّة، ألا وهي قضية الإمام الحسين (ع)، ومن ثمَّ ينتهي الفكران في نتيجةٍ واحدة مفادها رسالة الحقِّ، والاستجابة لنداء السماء وكلمة الله، والنضال في سبيلها؛ لهو أمرٌ رائعٌ ومصيري يوحَّد كلمة العباد مهما اختلفتْ الأجناس والعقائد. وفي هذا يقول أنطوان بارا: "إنَّ ثورة الحسين كانتْ

أوَّل ثورةٍ سُجِّلتْ في تاريخ الإسلام، وفي تاريخ الأديان السماويَّة الأُخرى، وما كان منها على مستوى المبادئ أو القيم العقائديَّة"[١].

ونجد أيضاً أنَّ المسيحيين يذكرون قضية الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) في الإنجيل، إذ نجدها نصَّاً على قدرٍ كبيرٍ من الأهميَّة يرد في رؤية يوحنا: **"وفي وسط السبع منائر شبه ابن إنسان، متربلاً بثوبٍ إلى الرجلين"**[٢]. وهذا الرجل الماشي وسط المنائر؛ والملقَّب بابن الإنسان؛ هو المهدي الذي سوف يأتي مع السيد المسيح (ع) لينتقم ممَّن ظلم هؤلاء وقتلهم[٣].

كما أنَّ النظر لكربلاء من زاوية الفكر المسيحي؛ هو بمثابة النظر إلى هذه الثورة من زاويةٍ إنسانيَّةٍ؛ وذلك لأنَّ الفكر المسيحي ما هو إلَّا جزء من الفكر الإنساني، وأنَّ المسيحيَّة ما هي إلَّا مرحلة من مراحل المدرسة الإلهيَّة التي تكوَّن الدين الواحد[٤].

وتوصَّل الأديب الإنجليزي **جارلز ديكنس**[٥] إلى أنَّ الهدف الحقيقي لخروج الإمام الحسين (ع) على حكم الطاغية؛ إنَّما هو هدفٌ إصلاحيٌّ حقٌّ، إذ قال في ذلك ما نصُّه: "لو كان الحسين يطمح بالحُكم وبالدنيا؛ لما صحب معه أُخته وزوجته وأطفاله والنساء وأولاده، حيث أنَّه أفدى الإسلام بكُلِّ ما لديه طلباً للإصلاح"[٦].

١- للمزيد من التفصيل يُنظر؛ غريب، محسن ظافر: **الحسين (ع) في الفكر المسيحي**، مجلَّة الحوار المتمدَّن، العدد: ٢٩٨٣، لسنة ٢٠١٠، ص٢٩.

٢- سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي: ١: ١٣.

٣- أشار الكتاب المقدَّس في أكثر من مكان إلى ابن الإنسان؛ فقال مثلاً في أنجيل مرقص: ١٣: ٢٦: "وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحابٍ بقوَّةٍ ومجد لذلكَ كونوا أنتم أيضاً مستعدين؛ لأنَّه في ساعةٍ لا تظنون يأتي ابن الإنسان؛ فأسهروا إذاً لأنَّكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان".

٤- بارا، انطوان: **الحسين في الفكر المسيحي**، مرجع سابق، ص٢٤.

٥- **جارلز ديكنس**: ولد في منطقة لاندربورت البريطانيَّة ١٢٢٧م، كان يبحث عن حدثٍ وتاريخ ليكتب عن رواية؛ فقرأ عن التضحية والفداء لأجل الإصلاح؛ فوجد مأساة كربلاء في هذا الإطار فدرسها وتوصَّل إلى أنَّ نهضة الإمام الحسين (ع) لم تكن من أجل المصالح الدنيويَّة واستلام الحكم؛ بل من أجل الإصلاح؛ يُراجع: المرسال، مُتاح على شبكة الأنترنت على الموقع: **www.almrsal.com**، تاريخ الزيارة: ٦/ ٤/ ٢٠١٨.

٦- الكرباسي، محمد صادق محمد: **قالوا في الحسين (ع)**، ص ٦٦.

وأيضاً يقول الزعيم الهندي المهاتما غاندي[1]: "كان موت المسيح على الصليب يمثِّل عبرة للعالم أجمع؛ ولكنَّني لم أجد في ذلك أي أثرٍ غامضٍ، أو خارقٍ في قلبي، ولم تضف لي سيرة حياة المسيحيين الصالحين ما يزيد على الذي يمكن أنْ أحصل عليه من حياة الصالحين في أيِّ دينٍ أخر؛ فلقد وجدتُ في حياة آخرين ممَّن ينتمون لدياناتٍ أُخرى نفس الإصلاح الديني الذي سمعتُ المسيحيين يتحدَّثون عنه"[2].

وبناءً على ما تقدَّم؛ يتَّضح أنَّ ثورة الإمام الحسين (ع) جسَّدتْ ثورة قيمَ ومبادئ وحقوق الأمَّة؛ ومنها الإصلاح، إذ أكَّد فيها على ضرورة الاهتمام بإصلاح شؤون الأمَّة السياسيَّة والاقتصاديَّة؛ ولا يكون ذلك إلَّا من خلال توعيتها بمواصفات الحاكم العادل الذي يسوس الناس، وجعله مقياساً لقيمة الحاكم؛ وهذا ما أراده الحسين (ع)، إذ يتَّضح ذلك من خلال قوله: **"إنَّما خرجتُ لطلب الاصلاح في أمَّة جدي أريد أنْ أأمر بالمعروف، وأنهي عن المُنكر؛ فمنْ قبلني بقبول الحقِّ؛ فالله أولى بالحقِّ، ومن ردَّ عليَّ هذا؛ أصبر حتَّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقِّ؛ وهو خير الحاكمين"**[3].

١- **غاندي**: هو المهاتما غاندي، ولد في ٢ أكتوبر عام ١٨٦٩م، في مدينة بوربا ندار الهنديَّة، ودرس القانون ودافع عن الحقوق المدنيَّة للهنود، سواءً في وطنهم تحت الحكم البريطاني، أم في جنوب أفريقيا. أصبح غاندي زعيم حركة الاستقلال الهنديَّة، حيثُ نظَّم حملات مقاطعة ضدَّ المؤسسات البريطانيَّة بأشكال سلميَّة في العصيان الحديث؛ يُراجع: **سيرة غاندي**، جريدة الشرق الأوسط، العدد: ١٤١٩٧، سنة: ٢٠١٧.

٢- غاندي، المهاتما: **تجاربي مع الحقيقة**، ص١٦٠.

٣- للمزيد من التفصيل يُراجع ما كتبه عن الإمام الحسين (ع)؛ كلاً من عباس محمود العقَّاد، والشيخ عبد الله العلايلي، والشيخ محمد مهدي شمس الدين وغيرهم.

الخـــاتمَّـــــــــة

يتَّضحُ ممَّا تقدَّم أنْ بينَ المسيحيَّة والإسلام علاقةٌ وطيدة حتَّى قبل ظهور الإسلام من خلال الدعوة المحمديَّة. وبحسب ما ذكره رواة السيرة النبويَّة؛ فإنَّ أوَّل من تنبأ بنبوءة نبي الإسلام محمد بن عبد الله (ص) منذ صباه؛ هو الراهب النصراني (بحيرى سارجيوس)، عندما التقاه في أثناء رحلته مع عمَّه أبو طالب إلى بلاد الشام.

والحقُّ أنَّ الكتابَ المقدَّس قد تنبأ فعلاً بالنبي محمد (ص)، ونصوص الإنجيل خير دليل على ذلك، إذ جاء في أحد نصوص (إنجيل يوحنا): **"إنْ كنتم تحبوني، فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأبِّ فيعطيكم مُعزيًا آخَر؛ ليمكث معكم إلى الأبد"**[1].

كما وردَ في الكتاب المقدَّس على لسان السيد المسيح (ع)، وهو يخاطب تلاميذه قبل أنْ يرحل: **"لكني أقولُ لكم الحقَّ، إنَّه خيرٌ لكم أنْ أَنطلِق؛ لأنَّه إنْ لم أنطلقْ لا يأتيكم المُعزِّي"**[2]. ثمَّ يواصل السيد المسيح عيسى بن مريم (ع) الحديث عن ذلك المعزي قائلاً: **"إنَّ ليَ أموراً كثيرةً أيضاً لأقولَ لكم، ولكن لا تستطيعون أنْ تحتملوا الآن، وأمَّا متى جاء ذاكَ روح الحقِّ، فهو يرشدُكم إلى جميع الحقِّ؛ لأنَّهُ لا يتكلم من نفسِهِ، بل كُلّ ما يسمع يتكلَّم به، ويُخبرُكم بأمورٍ آتية"**[3].

كما أنَّ الإسلام يدعو إلى التقارب مع أهل الكتاب ونبذ العصبيَّة، والمسلمون يؤمنون بأنَّ الأديان السماوية كُلُّها على أصلها من عند الله، ويجب على أبنائها أنْ يتلاقوا جميعاً على كلمةٍ سواء، غير أنَّ العصبيَّة الدينيَّة كان لها دخلٌ كبيرٌ خلال عصور التاريخ في توسعة حدَّة الخلاف بين أبناء هذه الأديان. والإسلام بحكم أنَّه جاء أخيراً ومُكَمِّلًا؛ فإنَّه قَرَّر أن من أصوله الإيمان والتصديق بالأديان السماويَّة كُلِّها وبالرسل جميعاً.

ولا شكَّ في أنَّ الجوانب الأخلاقيَّة في الأديان السماويَّة الثلاثة التي يدين بها العالم اليوم في أغلبيَّته تتقارب إن لم تتوافقْ، ومن واجب المخلصين من أبناء هذه الأديان الثلاثة أنْ يتَّخِذوا مِن تَوَافُق هذه الجوانب مِفْتاحاً للتلاقي على الكلمة السَّواء التي نرجو إذا صدقوا النية وأخلصوها وصلوا إلى دين الله الحقِّ القويم الدائم، الذي نزل على النبي العربي محمد بن عبد الله (ص)، ونَطَقَ بِهِ التنزيل قاصداً جميع شرائعه، وفي ذلك قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾[4].

١- إنجيل يوحنا: ١٤/ ٤٥.

٢- إنجيل يوحنا: ١٦/ ٧.

٣- إنجيل يوحنا: ١٦/ ٢٣.

٤- سورة آل عمران: الآية ١٩.

وقد حدَّد الإسلام طبيعة علاقته بالأديان السماويّة الصحيحة من خلال الاعتراف بها؛ لأنّه يؤمن بأنَّها تتَّحد معه بماهيَّة الدين؛ ولكن بنبوُّاتٍ مُتعدَّدة، وشرائع مُختلفة هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر؛ فالإسلام لا يتعصَّب لذاته ولا لمبادئه، ولا يؤمن – أيضاً– بثقافة إقصاء الآخر، وهذا ما صرَّح به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[1].

كما أنَّ السيد المسيح (ع) ذُكر في القرآن الكريم، هذا الإنسان العظيم كان ذو شخصيَّةٍ جذَّابةٍ وذو خُلقٍ كريم، اصطفاه الله ليكون رسولاً إلى بني إسرائيل يحكمهم بشريعة التوراة وهداية الإنجيل، فدعاهم إلى الإيمان بالله وحده، وإلى إخلاص العبادة له؛ وذلك بعد أنْ انحرف بنو إسرائيل فمنهم من عبد العجل، ومنهم من قال: عُزير ابن الله، ومنهم من قتل الأنبياء (ع) أو افترى عليهم عظيم القول..... إلخ.

ومن هنا نعرف أنَّ رسالة السيد المسيح عيسى بن مريم (ع) كانتْ خاصَّة ببني إسرائيل، إذ يقول الله تعالى: ﴿**وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[2]، وفي إنجيل متى ورد: (**لم أُرسَل إلَّا إلى خرافِ بني إسرائيل الضَّالة**)[3].

وقد ذُكرتْ مهمَّة السيد المسيح (ع) الرساليَّة في القرآن الكريم؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ**﴾[4]. كما ذُكرتْ هذه المهمَّة في الأناجيل؛ فقد جاء (في إنجيل يوحنا): "**إنْ يعرفوكَ أنتَ الإله الحقيقي وحدكَ ويسوع المسيح الذي أرسلته**"[5].

وفي(إنجيل لوقا): "**يَسوعُ الناصريِّ الذي كَانَ إنساناً نبيَّاً**"[6]. وكسائر الأنبياء الكِرام (ع)؛ فقد أيَّد الله السيد المسيح عيسى بن مريم (ع) بمعجزات وآيات، ومن ذلك أنَّه كان يُبرئ الأكمه والأبرص، ويُحيي الموتى بإذن الله.

١- سورة البقرة: الآية ١٣٦.

٢- سورة آل عمران: الآية ٤٨.

٣- إنجيل متى: ١٥/ ٢٤.

٤- سورة النساء: الآية ١٧١.

٥-إنجيل يوحنا: ١٧/ ٣.

٦- إنجيل لوقا: ٢٤/ ١٩.

أمَّا في التراث الإسلامي؛ فقد انطلقنا بالفكر المسيحي من خلال دراسة التراث الإسلامي اعتماداً على الكتاب المقدَّس، وتأمل الإشارات الواقعة التي كانتْ تشير إلى الأنبياء والرُسل (ع)، وخاتم النبيين محمد (ص)، وفي حقيقة أهل بيته الأبرار (ع). وقد روي عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن أسباط عنهم (ع)؛ فيما وعظ الله عزَّ وجلَّ به السيد المسيح عيسى بن مريم (ع): **"يا عيسى أنا ربُّكَ وربُّ آبائكَ، إسمي واحد، وأنا الأحد المُتفرَّد بخلقِ كُلَّ شيءٍ، وكُلَّ شيءٍ من صنعي، وكُلَّ إلي راجعون. يا عيسى: أنتَ المسيحُ بأمري، وأنتَ تخلقُ من الطينِ كهيئةِ الطير بإذني، وأنتَ تُحيي الموتى بكلامي، فكُنَّ إليَّ راغباً، ومني راهباً، ولنْ تجدَ مني ملجأً إلَّا إليَّ. يا عيسى: أوصيكَ وصيةَ المُتحنَّنْ عليكَ بالرحمةِ حتَّى حقَّتْ لكَ مني الولاية بتحرِّيك مني المسرَّة، فبوركتَ كبيراً، وبوركتَ صغيراً حيثما كُنتَ، إشهد أنَّكَ عبدي ابن أمتي، أنزلني من نفسكَ كهمِّكَ، واجعل ذكري لمعادكَ، وتقرَّب إليَّ بالنوافلِ، وتوكَّلَ عليَّ أكفِكْ، ولا تتوكَّلَ على غيري فأخذلكَ"**.

ولا ندعي أنَّنا جمعنا كُلَّ ما روي بهذا الخصوص، كما لا ندَّعي أنَّنا أخترنا الروايات التي يمكن أنْ تزودنا بنظرةٍ شاملة عن الأحاديث التي رُويتْ عن أئمة أهل البيت (ع) بشأن السيد المسيح عيسى بن مريم (ع)، إذ إنَّ هناك روايات لا تختلف إلَّا ببعض التفاصيل. وفي هذه المقام جاء اختيارنا للنموذج الأتم للرواية,

كما تبيَّنَ لنا أنَّ السيد المسيح وأنبياء الله نوح وإبراهيم وموسى (ع) ونبينا الأكرم محمد بن عبد الله (ص) لهم مكانة خاصَّة في الإسلام الحنيف كأعظم الأنبياء, أولئك الأنبياء الذينَ جاءوا بشرائع ما أوحي للمتأخَّر منهم؛ وهو تأكيدٌ لِما أوحي لمن سبقوه. أليس هذا سبباً كافياً لهذا الالتفات الكبير للأنبياء السابقين (ع) في القرآن الكريم؟

والحقُّ؛ إنَّ كُلَّ الأنبياء (ع) جاءوا ببشارة المحبَّة، وهي محبَّة الله والجار، وحتَّى محبَّة أحقر المخلوقات، وخلال الروايات التي عرضناها وجدنا أنَّ السيد المسيح (ع) يعطي من طعامه لمخلوقات البحر. وبذات الوقت لا تلتبس محبَّته بالعاطفة التي قد تمنع شريعة الله.

كما تبيَّنَ لنا خلال البحث أنَّ طبيعة العلاقة بين الديانة المسيحيَّة وأهل البيت (ع) وثيقة جداً؛ على اعتبار أنَّ أهل البيت (ع) صورةٌ واضحةٌ وجليَّةٌ عن الدين الإسلامي، لأنَّهم الامتداد الحقيقي لرسول الإسلام محمد (ص). ولذا؛ فقد استدعتْ طبيعة هذه العلاقة معرفة المساحة التي يطلقها الإسلام لقبول الآخر، وبذات الوقت؛ فإنَّها – بِلا شكّ– تفتح مجالاً للحوار والمقارنة بين الأديان، وهذا حتَّم علينا عرض الرؤية القرآنيَّة تؤكِّد ما تقدَّم، وتقيم الأدلة عليه. ويمكن معرفة هذه

العلاقة عندما وضَّح الجانب القرآن الكريم وجهة نظره بالسيد المسيح عيسى بن مريم (ع)، الذي يُعدُّ الامتداد الحقيقي لحكمة الله سبحانه وتعالى في بعث الرسل والأنبياء.

وفي بعض النصوص التي وردتْ في التراث الإسلامي دليلٌ واضحٌ على إيمان المسلمين بالسيد المسيح عيسى بن مريم (ع)؛ فالمسلمون يؤمنون أنَّ السيد عيسى بن مريم (ع) هو أحد أعظم رُسل الله (ع)، وأنَّه ولد بمعجزةٍ من غير تدخَّل، وأنَّه أحيا الموتى بإذن الله، وأنَّه أبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله؛ بل الواقع أنَّ المسلم لا يكون مسلماً إنْ لم يؤمن بالنبي عيسى بن مريم (ع).

إنَّ هذا التقارب يُبرز نظريَّة الإسلام اتجاه الأخرين في سماحته ودعوته للإسلام، والتركيز على التلاقي والمقارنة بين الأديان حتَّى تصبح دستوراً ومثلاً لمبدأ السلام والتعايش السلمي. ولذا؛ فلو تأملنا كتب السير، وما نقلتهُ عن مدى الإحسان والسلام والتسامح الذي قدَّمه الرسول الكريم محمد بن عبد الله (ص) في أثناء تعامله مع أهل الكتاب، ولاسيما النصارى .

ولذا؛ نجد أنَّ المسيحيين يستمدون من فكر أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) وعطاءه، انطلاقات فكريَّة لمعالجاتٍ حياتيَّةٍ كثيرةٍ، إذ أثمروها في نتاجاتهم الشعريَّة، فكان أغلبها في ذكر بيعة الغدير... وغيرها.

كما حوتْ المصادرُ القديمة بيان انبهار المسيحيين بالأمام علي بن أب طالب (ع)، نحو ظهور عين الماء مُغطاة بصخرةٍ يحرسها راهبٌ مسيحي....., وهذا ما يثير فينا العشق والهيام الذي أثمر في أشعار الأُدباء المسيحيين بحُبِّ أهل البيت (ع)؛ إذ نجد بقراط بن أشوط، ونجد القسم الأخر يستمد أفكاره من الإمام الحسين (ع)؛ فنجد أشعارهم أغلبها تتغنَّى بالإمام الحسين (ع)، ومنهم: بولس سلامة وانطوان بارا.... إلخ. ولذا؛ فقد حفلتْ سيرة النبي محمد (ص) وأهل بيته (ع) بنماذج حياتيَّة اتجاه المسيحيين، وبقيتْ حافلة بذاكرتهم على امتداد العصور، ولاسيما سيرة النبي محمد (ص) والإمام علي بن أبي طالب وابنه والإمام الحسين (ع). وقد جلبتْ معطيات فكرية استند إليها الشعراء والأُدباء المسيحيين. ومن هنا المديات البعيدة للعلاقة الرصينة بين أهل البيت (ع)، وبين المسيحيين الذين أنتجوا شعراً في حقِّهم.

تمَّ الكتاب بحمدِ الله

المصـــــادر والمـــــراجـــــع

- **القرآن الكريم.**
- **إنجيل يوحنا.**
- **إنجيل متَّى.**
- **إنجيل برنابا.**
- **إنجيل لوقا.**

١- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ط١، تحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).

٢- ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، ط٢، دار إحياء الكتب العربيَّة، القاهرة، ١٣٧٨هـ.

٣- ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري: **الإقناع**، ط١، تحقيق: عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، دار النهضة، القاهرة، ١٤٠٨هـ.

٤- ابن بسطام، عبد الله: **طبُّ الأئمَّة (ع)**، ط١، الشريف الرضي، قم، ١٤١١هـ.

٥- ابن حجر، أحمد بن علي: **فتح الباري**، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٦- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: **البداية والنهاية**، ط١، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠.

٧- .....: **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩.

٨- .....: **تفسير القرآن الكبير**، ط١، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٦.

٩- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: **لسان العرب**، ط١، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).

١٠- ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني: **مُعجم مقاييس اللغة**، ط١، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩.

١١- أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي: **الفروق**، ط١، عالم الكتب، القاهرة، (د. ت).

١٢- أبو زهرة، محمد: **مقارنة الأديان (الديانات القديمة)**، ط١، معهد الدراسات الإسلاميِّة، بيروت، ٢٠٠٨.

١٣- أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه: **المُغني**، ط١، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٩٦٨.

١٤- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم: **الخِراج**، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩.

١٥- الأعظمي، وليد: **أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران**، ط١، مكتبة الرقيم، بغداد، ٢٠٠١.

١٦- بارا، انطوان: **الحُسين في الفكر المسيحي**، ط٥، دار العلوم، بيروت، ٢٠٠٩.

١٧- الباش، حسن: **العقيدة النصرانيَّة بين القرآن والأناجيل**، ط١، دار قُتيبة، دمشق، ٢٠٠١.

١٨- البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة، (د. ت).

١٩- .....: **الجامع الصحيح**، ط٣، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧.

٢٠- بن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر: **وفيات الأعيان**، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢.

٢١- بن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي: **مناقب آل أبي طالب**، ط٣، تحقيق: يوسف بقاعي، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١.

٢٢- الترمذي، أبو عيسى: **سننُ الترمذي**، ط١، دار الغرب الإسلامي، (د. م)، ١٩٩٦.

٢٣- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف: **التعريفات**، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣.

٢٤- جهلان، طارق: **الأثر العالمي للحضارة العربيَّة الإسلاميَّة**، (د. ن)، (د. ت).

٢٥- جيمس، دنس: **نظام التعليم في علم اللاهوت القديم**، مطبعة الأمريكان، (د. م)، (د. ت).

٢٦- الحرُّ العاملي، أبو جعفر محمد بن الشيخ الحسن بن علي: **وسائل الشيعة**، ط١، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤٠٩هـ.

٢٧- الحرَّاني، الحسن بن علي بن شعبة: **تُحف العقول**، ط٢، مؤسسة النشر الإسلاميَّة، قم، ١٢٠٢هـ.

٢٨- الحيني، محمد جابر عبد العال: **في العقائد والأديان**، ط١، الهيئة المصريِّة العامَّة للتأليف والنشر والطباعة، القاهرة، ١٩٧١.

٢٩- الحنفي، محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد: **تكملة فتح القدير**، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٣.

٣٠- الحنفي، أبو بكر بن مسعود أحمد: **بدائع الصنائع**، ط٢، دار الكتب العلميَّة، ١٩٨٦.

٣١- حمودي، غدير: **الحسين وثورة الإصلاح، مجلة الإصلاح الحُسيني**، العدد: ٧، مؤسسة وراث الأنبياء للدراسات التخصصيَّة في النهضة الحسينيَّة، النجف الأشرف، (د. ت).

٣٢- الخصيبي، أبو عبد الله الحسين بن حمدان: **الهداية الكُبرى**، ط٤، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١.

٣٣- الخضري، يوحنَّا: **تاريخ الفكر المسيحي**، ط١، دار الثقافة المسيحيَّة، القاهرة، ١٩٨٦.

٣٤- الرضا، علي بن موسى (ع): **صحيفة الرضا**، المشهد المقدَّس، المؤتمر العالمي للإمام الرضا (ع)، ١٤٠٦هـ.

٣٥- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد: **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصريَّة- الدار النموذجيَّة، صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩.

٣٦- الراوندي، قطب الدين بن سعيد بن هبة الله: **فقه القرآن**، ط١، منشورات مكتبة المرعشي العامَّة، قم، (د. ت).

٣٧- .....: **الخرائج والجرائح**، ط١، مؤسسة المهدي، قم، (د. ت).

٣٨- رضا، محمد رشيد: **تفسير القرآن الكريم**، ط١، مطبعة المنار، القاهرة، (د. ت).

٣٩- ريسنمان، ستيفن: **تاريخ الحروب الصليبيَّة**، ط٢، ترجمة نور الدين خليل، الهيئة المصريَّة العامَّة، القاهرة، ١٩٩٠.

٤٠- الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢.

٤١- الزُحيلي، وهبة: **آثار الحرب في الفقه الإسلامي (دراسة فقهيَّة مقارنة)**، ط٥، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠١٣.

٤٢- .....: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط٢، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨هـ.

٤٣- زيدان، عبد الكريم: **أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام**، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢.

٤٤- السبتي، موسى: **محمد والحكمة**، مجلة العرفان، ج٣، مج٣٢، بيروت، ١٩٤٥.

٤٥- سعفان، حسن شحاته: **كونفوشيوس (النبي الصيني)**، ط١، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د. ت).

٤٦- سينيوس، لويس: **المباهلة بين النبي ونصارى نجران**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مجلة الموسم: عدد ٩٦، السنة: ٢٠١٢.

٤٧- سليمان، كامل: **يوم الخلاص في ظلِّ الإمام المهدي**، ط١، دار الكتاب اللبناني، نشر: شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٣.

٤٨- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: **الملل والنحل**، ط١ (الطبعة العلميَّة)، تحقيق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلميِّة، بيروت، ١٩٩٢.

٤٩- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله: **فتح القدير**، ط١، دار ابن كثير- دار الكلم الطيب، دمشق، ١٩٣٨.

٥٠- الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد: **الديَّارات**، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦.

٥١- الشرقاوي، جمال الدين: **نبي أرض الجنوب (بحث حول كلمة بارقليط)**، ط١، دار هادف للنشر، القاهرة، (د. ت).

٥٢- الشعيري، تاج الدين: **جامع الأخبار**، ط١، مطبعة الشريف الرضي، قم، ١٣٦٣هـ.

٥٣- شنُّودة، زكي: **موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحيَّة**، دار فيلو باترون للترجمة والنشر، (د. م)، ٢٠٠١.

٥٤- شقير، محمد: **الإصلاح الديني في ثورة الإمام الحسين** (ع)، ط١، دار المعارف الحكميَّة، بيروت، ٢٠١٦.

٥٥- شُبَّر، جواد: **أدبُ الطفِّ**، ط٢، دار المرتضى، بيروت، (د. ت).

٥٦- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: **علل الشرائع**، دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

٥٧- .....: **الخصال**، تحقيق: علي أكبر غفاري، منشورات جماعة المدرسيين في الحوزة العلميَّة، قم، (د. ت).

٥٨- .....: **كمال الدين وتمام النعمة**، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩١.

٥٩- .....: **من لا يحضره الفقيه**، مؤسسة جماعة المدرسيين، قم، ١٣٦٩هـ.

٦٠- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الصنعاني: **سُبل السلام**، ط٣، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، دمشق، (د. ت).

٦١- الصفَّار، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ: **بصائر الدرجات**، ط١، مكتبة آية الله المرعشي، قم، ١٤٠٤هـ.

٦٢- الطبرسي، أبو الفضل علي بن الحسن: **مشكاة الأنوار**، ط١، المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٣٥٨هـ.

٦٣- الطبري، محمد بن جرير: **دلائل الإمامة**، دار الذخائر للمطبوعات، قم، (د. ت).

٦٤- .....: **جامع البيان في تفسير القرآن**، ط٣، بيروت، دار المعرفة، ١٩٣٨.

٦٥- .....: **تفسير جامع البيان**، ط١، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠.

٦٦- .....: **تاريخ الرُسل والملوك**، ط٢، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).

٦٧- .....: **تاريخ الأمم والملوك**، ط١، تقديم: خليل الميس، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة، بيروت، ٢٠٠٥.

٦٨- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي: **شرح مشكل الآثار**، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د. ت).

٦٩- الطويل، توفيق: **قصَّة الاضطهاد الديني في المسيحيَّة والإسلام**، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٤٧.

٧٠- العسكري، الحسن بن علي النقي (ع): **تفسير العسكري**، ط١، مدرسة الإمام المهدي (عج)، قم، (د. ت).

٧١- العاملي الكفعمي، إبراهيم بن علي: **المصباح**، ط١، مؤسسة جماعة المدرسيين قم، ١٤٠٥هـ.

٧٢- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري: **السيرة النبويَّة**، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠.

٧٣- عبد الوهاب، أحمد: **المسيح في مصادر العقائد المسيحيَّة**، ط٢، مكتبة وهبة، بيروت، ١٩٨٨.

٧٤- العقَّاد، عباس: **أبو الشهداء الحسين بن علي**، ط١، نهضة مصر، القاهرة، (د. ت).

٧٥- عيَّاش، عبد القادر: **مُعجم المؤلفين السوريين**، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥.

٧٦- غاندي، المهامتا: **تجاربي مع الحقيقة**، ط١، دار العلم للملاين، ٢٠٠٧.

٧٧- غبور، منير، وعثمان أحمد: **المسيحيَّة في الإسلام**، ط١، الهيئة المصريَّة العامَّة، القاهرة، ٢٠٠٩.

٧٨- غريب، محسن ظافر: **الحسين في الفكر المسيحي**، مجلَّة الحوار المتمدَّن الإلكترونيَّة، العدد: ٢٩٨٣، لسنة ٢٠١٠.

٧٩- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥.

٨٠- الفاضلي، داوود علي: **أصول المسيحيَّة**، ط١، مكتبة المعرف، الرباط، ١٩٧٣.

٨١- فتح الله، أحمد: **مُعجم ألفاظ الفقه الجعفري**، ط١، دار مطابع المدخيل، ١٢١٥هـ.

٨٢- الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر: **التفسير الكبير**، ط٢، دار الكُتب العلميَّة، طهران، ١٩٩٥.

٨٣- القُرطبي، أبو عبد الله محمد: **الجامع لأحكام القرآن**، ط١، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣.

٨٤- القُرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد: **الفروق**، ط١، تحقيق: خليل المنصور، دار الكُتب العلميَّة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨.

٨٥- القُمِّي، أبو الحسن علي بن إبراهيم: **تفسير القُمِّي**، ط١، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٣٨٧هـ.

٨٦- القاسمي، محمد جمال الدين: **محاسن التأويل**، ط١، تحقيق: محمد باسل عيون، دار الكُتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٨هـ.

٨٧- القاسمي، ظافر: **الجهاد والحقوق الدوليَّة العامَّة في الإسلام**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠١١.

٨٨- القزويني، خولة: **الحسين في قلب المسيح**، مجلة القبس الالكتروني، ٢٠٠٦.

٨٩- قنصل، كرم: **كربلاء الفداء في الفكر المسيحي**، مجلَّة الكلمة السوريَّة، دمشق، العدد: ١٤، لسنة ١٩٧٩.

٩٠- الكليني، محمد بن يعقوب: **الكافي**، ط١، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٣٣٥هـ.

٩١- الكاساني، أبو بكر بن مسعود: **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، ط٢، تحقيق: علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٣.

٩٢- الكرباسي، الشيخ محمد صادق محمد: **قالوا في الحسين (ع)**، دائرة المعارف الحسينيَّة، لندن، (د. ت).

٩٣- الكُرباسي، محمد صادق: **المدخل إلى الشِّعر الحُسيني**، ط١، دار المعارف الحُسينيَّة، لندن، ٢٠٠٠.

٩٤- المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار**، ط٢، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، دار إحياء التُراث العربي، بيروت، ١٩٨٣.

٩٥- المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران: **مُعجم الشُّعراء**، ط١، تحقيق: فاروق سليم، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥.

٩٦- المعتزلي، بن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، ط١، مكتبة آية الله المرعشي، قم، ١٤٠٤هـ.

٩٧- المفيد، محمد بن محمد بن نعمان العكبري: **الاختصاص**، ط١، نشر: المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم، (د. ت).

٩٨- المقدسي، أبو محمد موفَّق الدين عبد الله بن أحمد: **المُغني**، ط١، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٩٦٨.

٩٩- الميانجي، علي الأحمدي: **مكاتيب الرسول**، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨.

١٠٠- الملا جاسم، ناصر عبد الرزاق: **المؤرِّخ ستيفن رنسيمان وكتابه تاريخ الحروب الصليبيَّة**، مجلَّة جامعة الموصل، مج٩، العدد: ٣٢، جامعة الموصل، لسنة: ٢٠١٣.

١٠١- النيشابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري: **صحيح مسلم**، ط١، دار الطباعة العامرة، القاهرة، ١٣٢٩هـ.

١٠٢- النوري، الميرزا حسين بن محمد بن محمد تقي: **مستدرك الوسائل**، ط١، مؤسسة أل البيت عليهم السلام، قم، (د. ت).

١٠٣- النباطي، علي بن يونس البياضي: **الصراط المستقيم**، ط١، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٣٨٤هـ.

١٠٤- النجار، عبد الوهاب: **قصص الأنبياء والمُرسلين**، ط٣، مكتبة وهبة، بيروت، (د. ت).

١٠٥- هويدي، فهمي: **مواطنون لا ذمِّيون**، ط٣، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٠.

١٠٦- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان: **كشف الأستار عن زوائد البزار على الكُتب الستَّة**، ط١، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩.

١٠٧- .....: **مجمع الزوائد**، ط١، تحقيق: حسام الدين القدسي، ناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤.

١٠٨- الواسطي، أحمد: **أهل البيت في الكتاب المُقدَّس**، ط١، مطبعة صدر، بغداد، ١٩٩٧.

١٠٩- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر: **تاريخ اليعقوبي**، ط١، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٣.

١١٠- هاني، يسري محمد: **تاريخ الدعوة إلى الإسلام**، ط١، جامعة أم القُرى، ١٤٢٩هـ.

- مواقع الأنترنت:

-https://www.marefa.org.
-www.almrsal.com.
-https://www.marefa.org.
-www.almrsal.com.
-www.mawsoah.net.
-http://www.mawsoah.net.
-www.saddan.com.
-http://newspaper.annahar.com.
-www.annabaa.org.
-www.almrsal.com.
-www.mawsoah.net.
-http://www.mawsoah.net.
-www.saddan.com.
- http://newspaper.an.ahar.com.
-www.annabaa.org.
-www.almrsal.com.